

سَيِّدِي حَمَر

ذكريات الشيخ محمد أبو طير



تحرير

بلال محمد شالش



الفصل الثاني عشر

**الاعتقال التاسع والإضراب الفريد،
ذكريات وخواطر**

الاعتقال التاسع والإضراب الفريد، ذكريات وخواطر¹

ما إن تخرج من السجن، وتغالبك الحرية بمشاكلها، قبل أن تداعبك بمشاعرها، حتى يحيط بك الأذى من نسج العنكبوت. وما إن تتنسم أجواء الحرية المغلوبة بعد هذا الفراق القسري، حتى يساورك القلق، وتتلاهدن من حولك أنفاس موبوءة. لا شك أن الاحتلال من ورائها، لتفسد عليك الفرحة بلقاء الأحبة، وتفسد عليك حالة الاستقرار الباهتة — التي لا سبيل للخلاص منها إلا بهزيمة الاحتلال — حتى وأنت تستقبل المهنيين، الذين هم بلا أدنى شك، من بينهم من هو عين عليك، فأمثالنا هيهات، هيهات، أن ينعم بالراحة في هذه الدنيا، وعلى الخصوص مع هذا المحتل البغيض.

هي عشرة أشهر كاملة بجلوها ومرها، وعجراها وبجرها التي عشت أيامها بعد الخروج الأخير من السجن. ومن البديهي أن تبقى حالة الموج على طبيعتها بين مدٍّ وجزرٍ في هذا الصراع المحتدم حتى يُدحر الاحتلال. فإن حربك مع الاحتلال له معادلة واضحة: إن تسكت عنه فإنه لا يسكت عنك، وقد نغص عليك حياتك، وأخرجك من بيتك، وحال بينك وبين أولى القبلتين أن تحظى بالصلاة فيه. لأجل هذا عيونه لك بالمرصاد، تلاحقك وتراقب زوارك، وتعدُّ عليك أنفاسك، وما في الهواء بينك وبينه، يُحصي عليك كلامك، وذهابك وإيابك، وغدوك ورواحك، حتى أن بيتك غير آمن من التجسس عليك، فهم يعيشون معك، ويتنصتون عليك، وغير بعيد أن أعطيتنا لا شيء يسترها حينما يخلو الإنسان إلى أهله. وليس بجديد أنهم يتفننون في الأذى والفساد، حتى إن أحد الإخوة قال لي: بيتك ملغوم، والحديث الذي دار بيننا عندهم مكشوف، وواجهوني به، وقالوا: هناك حركات تعمدها الشيخ، وتمتم بكلمات، ما هي؟

ومن ثم لا حرج أن يهتكوا ما ستره الليل، فهذه "إسرائيل".

¹ يتميز هذا النص من الكتاب بأنه دُون في السجن في أثناء اعتقال الشيخ أبو طير التاسع، وسيلحظ أن النص يضم خواطر قد تحوي بعض التكرار، وذكريات تسجل بالتفاصيل الدقيقة للحظات مهمة في تاريخ الحركة الأسيرة، مرتبطة بالإضراب العام للأسرى الإداريين في نيسان/ أبريل 2014، بالإضافة لتوثيق لبعض يوميات وهموم مجتمع الأسرى.

و ذات ليلة من ليالي البرد، ونحو الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ليوم الأربعاء 2013/2/4، وإذا برنين الهاتف الخليوي يوقظني من النوم، فأزعجني ذلك، وعكّر مزاجي، وقلت: من هذا الذي يقصدنا في هذه الساعة من الليل؟ وأول ما ذهب إليه ظني، هو الشاباك الصهيوني. ففتحت الخط وأنا متردد، وإذا بالأخت الفاضلة أم مجاهد، زوجة الأخ المجاهد النائب أحمد عطون، تقول لي على عجل: أخي أبو مصعب، جيش الاحتلال داهم بيتنا في البيرة، واقتحموه على أبي مجاهد يريدون اعتقاله، فانتبه للأمر، وكن على حذر. وكان لسان حالها يقول: ﴿فَأَخْرِجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾². فشكرت لها ذلك، وواسيتها مصبراً، وقلت لها: سلمي الأمر لله، وانتهى الأمر عند هذه الكلمات. ليبدأ ما تبقى من الليل بالخروج من البيت، ويذهب القلق ويتنفس الصبح عن يوم جديد بلا اعتقال. بالطبع استيقظ أهلي مع رنين الهاتف، وعلموا بالأمر، وساعدوني على الخروج من بعد ما تلفعت بتيابي لأتوقى برد الأربعينية من ليل شباط الصقيع. فغادرتهم إلى أن علا أذان الفجر لصلاة الصبح من المساجد. فذهبت لصلاة الصبح التي هي في العادة أنا إمامها في مسجد حارتنا. وصلت في الناس، ومن ثم عدت إلى البيت بعدما تنفس الصبح.

لكن الاحتلال لا يريدنا إلا في السجون أو تحت التراب، وكلها قبور. لا يريد أصواتنا أن تلعلع في كشف أباطيله، ولا أن يسمعها أحد، ولا يريد لجيراننا أن نتفاعل معهم، لا يريد لزوارنا من ذوينا وأهاليينا أن يحضروا إلينا، إن استطاعوا. يريدون لنا القطيعة وأن يقتلوا الجيرة فينا. وحتى من عرفناهم داخل السجون، محظور علينا أن نتواصل أو يتواصلوا معنا، وكل كلمة عند القوم لها تفسير سلبي. لا يريدون لإسماعيل الزير، الذي عشنا وإياه في السجن، أن يأتينا بما اشتريناه، وقد دفعنا ثمنه من اللحم البري، والجميد من اللبن، الذي يتفننون في صناعته، وهو كارههم. نعم، إنه الأخ إسماعيل الزير من عرب التعامرة، والذي طمعني في الشراء، أنه يذكرني بالأيام الخوالي، يوم أن كان الرعاة يعتمدون على الرعي في علف أغنامهم، والعيش معها في البراري طلباً للعشب، والخلطة والتسمين لم يُعرفا بعد.

أتيت على هذا، لأن الشاباك الإسرائيلي واجهوا إسماعيل بما اشتريناه منه، وحسبوا ذلك ألغازاً، أو أسماءً مستعارة. وفي كل مرة أعتقل فيها، لا يغيب ما مضى من عمري

² القرآن الكريم، سورة القصص، آية 20.

داخل السجون، عند مشهد الاعتقال، ليكون مادة تحريض في المحاكم، فما تقدم من أيامك في السجن شاهدٌ عليك للتحريض عليك.

وفي ليلة 2013/7/3، وإذا بجيش الاحتلال يطرق علينا الباب، فقمتم فزعاً، وفتحت لهم الباب بعدما أخذ أهلي وقتهم، كان ذلك قريباً من الساعة الواحدة والنصف ليلاً، حسب التوقيت المحلي لمدينة القدس، وقد أعياني ليلتها التعب، وأنا أتابع مجريات الأحداث في مصر المبتلاة بحكم العسكر الذي أفسد الحياة وأفقر البلد.

طرق علينا الاحتلال الباب ليلة الانقلاب، ففتحت لهم الباب، وقالوا: نريدك أن تذهب معنا أيها الشيخ، فاقتا دوني دون أي يعبثوا بالبيت، بعد ليلة سهرها أرحم من نومها، لأن قليل النوم يتعب ولا يريح. فاصطحبت ما يلزم من الثياب والدواء، ودون أن يضعوا القيد في يدي، ولا العصبه على عيني، والاحترام هو سيد الموقف من البيت، وحتى معسكر بيت إيل شمالي مدينة البيرة، ولا يكون هذا إلا بتعليمات. وهناك صليت الصبح بعدما عَضني الليل ببرده، حتى تمنيت على الشمس أن تأتي بدفتها. ومع ارتفاع الشمس انطلقوا بي، بصحبة آخرين اعتقلوا في تلك الليلة، منهم الأخ المجاهد عمران مظلوم، الطالب في جامعة بيرزيت، وأيديهم في القيود البلاستيكية من الخلف، وأعينهم معصوبة طيلة الليل والنهار، إلى أن وصلنا سجن عوفر مع عصر ذلك اليوم. وكان من حظنا، بل من حظي أنا، أن أتت بنا الحافلة القدس من شمالها، لأمتع ناظري بمرباعها بعد طول حرمان، بعد ذلك أخذوا بي إلى مكاتب التحقيق، واستقبلني من أعرفه ويعرفني في حجرة من حجراتها ورحب بي كالعادة، والروتين هو... هو.

ما الذي أتى بك؟ قلت: أنتم، ثم أردف قائلاً: يقولون إنك حماس، وكنت ضيفاً على الكتلة الإسلامية في جامعة بيرزيت في انطلاقة حماس، وخطبت فيهم كلمة حماس، وشاركت في مسيرات وحضرت مهرجانات تأييداً لحماس. قلت: هل هذا كل ما عندك؟ قال: نعم، وربما يلحق. فقلت له: يا هذا، في كل ما مضى كان جوابي أنني نائب في المجلس التشريعي الفلسطيني عن القدس وأهلها، عن المدينة الصابرة التي يرزح أقصاها وأهلها تحت ظلم الاحتلال ونير التهويد والاستيطان، أما اليوم فأنا حماس، وأبوها لحماس، فأطو ما عندك، وهذا ما عندي.

بعد ذلك ذهبوا بي إلى السجن، واستقبلني ضابط من بني معروف اسمه فؤاد الشاعر، محترم بكل ما تعنيه هذه الكلمة، فؤاد الشاعر أبو بيان، هو من الأدب والاحترام

بمكان، بحيث لم يسمح لأحد العاملين معه أن يرفع صوته عليّ، ولتجاوز مني حصل. فناداه باسمه، إيك أن تأتي بالشيخ. وضابطان آخران من ضباط السجن أعرفهما، وهما على احتكاك مباشر يومياً مع الأسرى هما إيهود وموتي، اللذان ودعاني في المرة السابقة، استقبلني إيهود بالعبرية قائلاً: شيخ، لا ما حزرت؟ أي لماذا عدت ثانية إلى السجن؟ قلت له: إنه الاحتلال يا إيهود. إيهود وموتي تعاملتا على الدوام بلطف واحترام، وما أساء الأدب، ولو لمرة واحدة، ومنهم ضابط قسمنا نور نصر الدين فلفلة في التعامل مع الأسرى في القسم. نور ضابط مؤدب ومحترم وأول ما يلقي عليّ السلام يسأل عن صحتي، وقد جاءنا بدلاً من ضابطة يهودية اسمها "أورنا"، تتعامل مع عائلتنا في الزيارة باحترام، بعدما تركت قسمنا، ولم تُسئ الأدب معنا يوم أن كانت في القسم.

ومنهم الضابط سليم عزام، الذي لا يتحدث إليك إلا على أدب جمّ وخجل، وكذلك الضابطان عويضة وشحادة محترمان والأدب حاضر في كلامهما، وهناك من أحاطني برعايته الطبية وأدبه واحترامه، ولهم في نفسي حظهم من الاحترام. إنهم العاملون في عيادة السجن، المرضون، الذين صبروا على حديثي معهم، والذين دعوتهم ودفعت بهم للذهاب إلى الجامعة، وألا يربطوا مستقبلهم مع مصلحة السجون.

إنهم الرئيس سامر حمود، والرئيس عزمي عبيد، الذي حلّ محل سامر، والمرضى المحترم المؤدب وسيم دبور، وخزام، ومنهم الشباب المؤدب أمير صلالحة، ورامي، ونمر، وأيهم وتامير. رامي الذي قال لي: يقشعر بدني عندما أسمعك تؤذن لصلاة الصبح. هؤلاء هم الذين أرغب أن أردهم إلى بني معروف، ولقد تفانوا في خدمتنا، وتعاونوا في تقديم العلاج لنا. بل إن المسؤول العام في العيادة يهودي اسمه شاحر، غريب عجيب في أدبه، حتى إنه لا يتحدث إلينا إلا على خجل، وكذلك الممرض المتميز في أدبه كميل أبو عسلة.

بعد إجراءات الاستقبال، ذهب بي أبو بيان إلى قسم (12) لأرتاح من عناء ذلك اليوم، ومع صلاة المغرب وعدد المساء دخلت القسم، واستقبلتني غرفة 5 وعلى رأسهم الحبيب أبو عاصف [عمر] البرغوثي، وخلدون البرغوثي، وعمرو أبو غوش، الناطق باسم القسم، ومصعب غيطان، وصهيب غيطان، الذي أحبه، ومحمد المبتسم، مهند سعيد وعبد الله غيث. وفي الصباح جمعتنا الساحة بالأحباب؛ الشيخ صالح العطية، والدكتور

محمد غزال، والابن البار محمد ناجي صبحة، والحاج رزق الرجوب، والشيخ سليمان العاروري، والطبيب أمجد الحموري، والأخ جواد الجعبري، وآخرين الله يعلمهم.

وما أن استقر الحال، حتى عهدوا إليَّ بإمامة الصلاة في الحجرة وفي الساحة، فاعتمدت الدعاء والقنوت في كل صلاة جامعة أن يرفع الله البلاء عن إخواننا في مصر، أن ينصرهم، وأن يمكن لهم في الأرض، وأن ينصر الله إخواننا في سورية، وغزة، وتونس، وليبيا، وتركيا، وفي الأرض كل الأرض، وأن ينتقم الله من الظالمين... من المجرمين... من قادة الانقلاب في مصر. اعتمدت هذا الدعاء وأكثر، انتصاراً لإخواننا في مصر، وللمسجد الأقصى الذي حيل بينه وبين زواره من المسلمين، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا﴾³. المسجد الأقصى وعلى مرأى من العالمين العربي والإسلامي، يُمنع مصلوه من الوصول إليه، ويتعرض للهدم والتهوديد.

في ظل رابعة، وانقلاب مصر:

كنا على موعد مع الشهر الفضيل، سبعة أيام بيننا وبين رمضان، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾⁴. شهر رمضان الذي هو سياحة الأمة، والذي هو حافل بانتصارات الأمة، شهر رمضان الذي هو مدرسة الأمة في السلوك والانضباط، والانتصار على الذات. وأتينا على لياليه بالقيام، بصلاة التراويح مع القرآن، ونهاره صيام، صيام بكل ما تعنيه هذه الكلمة. إنها رحلة النفس مع القرآن، ورحلة النفس في مراغمة الشيطان. ولقد عشنا رمضان صياماً وقياماً بجوانحنا وجوارحنا مع إخواننا في مصر على الخصوص، عشناها بهموم أثقل من الجبال، وكنت خطيباً لأكثر من جمعة في رمضان، وحظَّ إخواننا هو الأوفر من خلال هذه اللقاءات. تحدثت عن مدرسة رمضان، وعن فلسفة الصيام، وعن ملكة التقوى، وعن انتصارات الأمة في يوم بدر، ويوم الفرقان، وعن فتح مكة، وعن معركة بلاط الشهداء، وعن فتح عمورية، وعن عين جالوت، التي يسميها الصهاينة عيد حيرود، وقلت: إن رمضان ميدان للنفس البشرية، وإن الذي لا ينتصر في ميدان النفس البشرية، هيهات... هيهات أن ينتصر في ميدان الحرب مع عدوه، وأتيت من خلال كل خطبة على الظروف التي تمر بها حركتنا، وعن الظلم الذي لحق بإخواننا هناك في مصر. وعن الانقضاخ على الشرعية، وإلى

³ القرآن الكريم، سورة البقرة، آية 114.

⁴ القرآن الكريم، سورة البقرة، آية 185.

أين قادة الانقلاب ناهبون بمصر وشعبها؟ وما من شك أن الأمة في مشارق الأرض ومغاربها، كانت تلهج بالدعاء لإخواننا على هذه البلاء الذي نزل بساحتهم، ولا شك أن تركيا كان لها موقفها المشرف بقيادة رجب طيب أردوغان Recep Tayyip Erdoğan من زمرة الانقلاب، فقد لذعهم في قلوبهم، ووقف مع خيار الشعوب.

أتت علينا العشر الأواخر من رمضان، واجتهدنا في العبادة حتى جفا النوم عيوننا، وكانت ليلة القدر، وختمت القرآن بها، وجأرت إلى الله وإخواني يؤمنون أن يرفع البلاء عن إخواننا في مصر، وفي سورية، وغزة، وتونس، وتركيا، أن ينتصر الله لإخواننا في محنتهم هذه. ولا شك أن الله مطلع، ويتجلى لحال عباده في محنتهم، وما هو بغافل عما يعمل الظالمون بل إنه — سبحانه — يضحك لما فيه عباده كما جاء في الحديث: ”عجب ربنا من قنوط عباده وقرب غيره؛ ينظر إليكم أزلين قنطين، فيظل يضحك؛ يعلم أن فرجكم قريب“⁵.

ثم جاء العيد، والعيد في السجن في ظل هذه المحن، يحتاج إلى معنويات، وإلى تعبئة نفسية، وإلى اصطناع الفرحة وبعث الهمة. ولقد طوفت من خلال خطبة العيد بأحوال الأمة، وعن رحلتنا وأمتنا مع شهر رمضان، وعن دوره في تزكية النفوس وتربيتها، والتكبير هو نشيدنا من بعد صلاة الصبح، وحتى صلينا صلاة العيد. وبعد انقضاء الخطبة، احتفلنا بالتحية والسلام، واصطف الجميع بشكل دائري، بعد أن تصافحت الأيادي بدفء القلوب وحرارة الأرواح وأنشدنا نشيد العيد:

هو الحق يحشد أجناده
ويعتد للموقف الفاصل
فصفوا الكتائب أساده
ودكوا به دولة الباطل

وبعدها:

كل عام وأنتم بخير يا أهل الضفة الغربية
كل عام وأنتم بخير، كل عام وأنتم بخير
يا أهلي بالقطاع، كل عام وأنتم بخير

وهكذا عشنا لحظات العيد، وإدارة السجن بضباطها تتميز غيظاً للذي تسمع وترى.

⁵ انظر نصه في: أحمد عبد الحليم ابن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن قاسم ([الرياض]: [د.ن.]، 1978)، ج 3، ص 139. [المحرر]

على كل حال، الخُطْبُ كُلُّ الخُطْبِ، في جميع المناسبات، إن هي إلا فتوحات ربانية تلقي بظلالها، وهيئات لذاكرتي أن تعيدها ثانية. ولقد طلب مني ولدي الحبيب سيف الإسلام دغلس أن أكتب له خطبة خطبتها يوم الجمعة، ووعده، ولكن لم أف له بذلك، لأنني لا أستطيع أن تعيدها ذاكرتي، وليسامحني ولدي سيف.

وذات مرة خطبت الجمعة في سجن عسقلان، في حضرة أستاذنا أبي سليمان، المهندس حسن القيق، فقال رحمه الله: هذه خطبة حقيقٌ بها المسجد الأقصى، وأن تُلقى من على منبره، فحمدت الله وقلت: يا ليتها مسجلة، فقال رحمه الله: نعم، إنها مسجلة، ففهمت قصده، أنها عند الله. كان ذلك سنة 1990، من القرن الماضي.

بعد العيد مباشرة نوينا على صيام الستة من شوال، وصمناها على ترقب وتخوف أن يفعلها المجرمون، فيقتحموا على إخواننا ميداني رابعة والنهضة. فالذي ينتظر إخواننا تنوء عن حمله الجبال، وأن تُهدم الكعبة أهون عند الله مما يخطط له هؤلاء... من عبد الفتاح السيسي إلى رفيق دربه وزير الداخلية "هامان"... وإلى عدلي "مكسور" الذي أتوا به رئيساً. إنهم يعدون العدة لأمر جلل، فالهمّ ثقيل بعد هذه الرحلة من رمضان، وما يزال قائماً بالرغم من كل الحشود بملايينها، لأن الذي استمرراً الغدر والخيانة لا يؤمن جانبه، ولأن الذي قد هتك الستر الذي بينه وبين الله لا يخاف الله. فالحال صعب، وأيامنا عشناها على تخوف، وحصل ما توقعناه، ووقع ما خشيناه، فجاء الاجتياح لميداني رابعة والنهضة، والميادين كلها، وأفسد علينا كل شيء، كان ذلك في 2013/8/25. لقد بشع المجرمون من قادة الانقلاب، وجعلوا من أجساد إخواننا وأخواتنا ملاعب لمجنزراتهم وطائراتهم ورشاشاتهم وقنابلهم، لقد ديست الأجساد الطاهرة لإخواننا وأخواتنا بالمجنزرات التي قادها السيسي وجيشه، نعم جيشه هو، وليس جيش الشعب، لأن جيوش الدول والشعوب لا تعمل بشعوبها هكذا.

على كل حال، ما من خطبة جمعة، إلا ولهذه الأحداث نصيب فيها. فهذه هموم حاضرة بقوة، وقلوبنا ملذوعة للذي دهى إخواننا في مصر. نعم تحدثت عن القلوب المددوعة التي صبرت على هذا الطريق، ودفعت ضريبته، القلوب التي حملت هم الدعوة إلى الله، والصابرة على المحن، والقابضة على الجمر، والتي توالى عليها الابتلاءات، وقلت مخاطباً الظلمة: لا تفرحوا يا سفلة العالم، فالطريق لنا ولن يكون لغيرنا، لا تفرحوا أيها

الظلمة، فالظلم مرتعه وخيم، ﴿فَمَنْ نَكثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾⁶. لا تفرحوا فالنصر آتٍ لا محالة، ومهما طال انتظاره، النصر آتٍ، وأنتم في الهزيع الأخير من ليل الظالمين. ثم عرجت على الآية من سورة الحج: ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ﴾⁷. وعلقت عليها ما يكفي، وقلت: يا إخواننا في سجون الظلمة، إننا على موعد مع الفجر الصادق، وإن أعظم قرارٍ اتخذتموه هو السلمية في المظاهرات، وإن رجوعكم القهقري هو الانتحار، ولن تعود زينب الغزالي مرة أخرى إلى الزنازين، فالصبر، الصبر، والوفا، الوفا فلقد اعتلى البنيان على الهدم، وإن خصومكم لا يزالون يجهلون العناد فيكم، وكما قال الشاعر:

أرى العنقاء أكبر أن تصادا فعاند من تطبيق له عناداً

نعم، هذه همومنا داخل السجن، وقد ابتلينا بفضائيات فصلت على مقاس الانقلابيين، كالعربية والسكاي نيوز Sky News وفضائية السلطة، التي سمحت بها مصلحة السجون على صعيد الأخبار؛ وحتى تبقى الحقيقة غائبة، ونبقى في غيبوبة عمّا يجري في الخارج. وألا تسمع أخبار هذه الفضائيات أبقي لعافيتك، وخير لك لأنها لا تأتيك إلا بالسموم، أما الطيب من الأخبار فتأتينا عن طريق القادمين الجدد الحديثي عهد بالخارج، والأخبار التي في جعبتهم، تغنيك عن هذا الإفك الذي تظنن به تلك الفضائيات.

عودة إلى الاعتقال الإداري:

بعدما عرضت النيابة العسكرية الملف على المحامي الأستاذ فادي القواسمي، قالوا له: عليه خمسة عشر شهراً وقف تنفيذ، هذه بهذه، فرد عليهم، هذه قضية سقفاها ثلاثة أشهر، فقالوا له: إذاً ستة أشهر إداري، والسته بالطبع تبعتها ستة أخرى، ويا ليتها لا تتعدى.

وبعد أربعة أشهر على الاعتقال، حضر إلينا من ”النقب“ الأخ المجاهد النائب أحمد عطون، على طلب منا ورغبة منه. ليستريح من عناء السفر، وهم ”البوسطة“، وليصوم معنا الأيام الأولى من ذي الحجة. لقد وصلنا أبو مجاهد صائماً، فكان حضوره موصولاً بعاطفة الأيام الخوالي، وصام إخواننا جميعاً يوم عرفة، والتكبير تصدح به الحناجر.

⁶ القرآن الكريم، سورة الفتح، آية 10.

⁷ القرآن الكريم، سورة الحج، آية 15.

وأصبحنا مع عيد الأضحى، واستأنفنا التكبير من بعد صلاة الصبح، وحتى قمنا لصلاة العيد فصليناها، ثم وقفت خطيباً مستفتحاً بالتكبير:

”الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، نشيد العيد، الله أكبر لحن الشهيد، الله أكبر يُفل بها الحديد، الله أكبر: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرِ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾، الله أكبر ما صائم صائم وأفطر، الله أكبر ما طاف طائف بالبيت وكبر، الله أكبر ما قام قائم ليله وأوتر، الله أكبر قبل الكتائب كان آذاناً يفتح الأمصاراً“.

نعم، لقد كان استهلالاً طويلاً. ثم ذكرنا أنفسنا بخير الزاد، بتقوى الله، وخاطبت أعداء الأمة:

يا هؤلاء، لن تقتلوا فرحة العيد فينا، فنحن أمة ترى عشقها في الجهاد، ونحن أمة عنوانها التضحية والفداء. ولقد استوت الأمور عندنا، وهي علينا سواء، أينما كنا، وحيثما حللنا، لأنه ”من رضي فله الرضى“، هنا في السجن أو هناك خارجه، نعبد الله ولا نعبد رباً سواه، نعمل جاهدين للقضاء على الجاهلية في نفوسنا، ونعمل جاهدين لاستئناف الحياة الإسلامية في قواعداً وأوساطنا، ونعمل على تحرير أوطاننا، من سرطان الاحتلال وأخطبوط الصهيونية. يا إخواننا: إن بهجة العيد تتجلى في هذا اللقاء الإيماني، وفي هذا الصفاء الروحي، وفي هذا الدفء الإخواني. وإن بهجة العيد تتجلى في الثبات على الحق، والصبر على المكاره، وإنه العيد لهذه الأمة يردّها إلى أبيهم إبراهيم عليه السلام، وولده إسماعيل: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾﴾⁸. إنه يوم الاستسلام والإذعان والانقياد لهذا الدين العظيم، وإنه يوم التضحية والفداء ويوم التلبية والعتاء. إنه يوم الحمية للذين انتفضت فيهم حمية الإسلام، وأكلتهم الغيرة على الإسلام، وللذين آثروا العزة على حياة الذل، وللذين يراغمون الشيطان، وصبروا على محنة السجن والسجان، للذين صبروا على أنفسهم قبل أن يصبروا على من خالفهم، إنه نداء لأصحاب القلوب المملوذة: أن قد هيثوك لأمر لو فطنت له، فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل. إنه صرخة لمن أكلت قلوبهم هموم المسلمين هنا في فلسطين، وهناك في مصر، والصومال، وسورية والشيشان أن آمنوا ثم

⁸ القرآن الكريم، سورة الصافات، آية 103-105.

آمنوا حتى يستعلي الإيمانُ على كل شيء، وحتى تستقر حقيقته في قلوبكم،
وحتى تنتصر إرادتكم على الشهوات، وحتى تخرج النفس من حظها. وأن
ازحفوا ثم ازحفوا، وزاحموا الصفوف ولسان الحال يقول:

لبيك إسلام البطولة كلنا نفدي الحمى
لبيك واجعل من جماجمنا لعزك سلما
لبيك إن عطش اللوا... سكب الشباب له الدما
لبيك... لبيك... لبيك

هذه مقتطفات من خطبة العيد، عيد الأضحى، واحتفلنا بالمألوف بعد أن تصافت
الأيادي بحرارة القلوب ودفء الأرواح، وعاطفة الأخوة، وبالأحضان كذلك، واصطف
الجميع في حلقة واحدة، على صعيد الساحة، وأنشدوا نشيدنا الإخواني:

هو الحق يحشد أجناده ويعتد للموقف الفاصل
فصفوا الكتائب أساده ودكوا به دولة الباطل

ولقد اصطنعنا فرحة العيد لتخفف عن إخواننا هذا الفراق، وخاصة الذين دخلوا
السجن لأول مرة، وليكون هذا اللقاء عزاءً لإخواننا، والشعور الفياض، أن الله سبحانه
لا ولن يتخلى عنا، ولا عن إخواننا. ولقد استشعرت، كما استشعر غيري بنفحات الله
تتجلى علينا، وصدق الله: ﴿فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ
أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا﴾⁹.

وقع الهوت على الأسير:

بتاريخ 2013/9/30، وبينما نحن جلوس في غرفتنا، وإذا بالأخ أبو إبراهيم [سامي
حسين] يحيطني علماً بوفاة الأخ الأستاذ أيوب عبد الجليل دلايشة (أبو ماهر)، وماهر
سجين معنا وفي قسمنا، وأبو ماهر، رحمه الله، لنا معه معرفة وصحبة، وبشهادة
الأحباب من مخيم الجلزون... وكما حدثني الحبيب باجس نخلة كان من العاملين في
حقل الدعوة، ولا يتأخر عن طلب من ليلٍ أو نهار.

⁹ القرآن الكريم، سورة الكهف، آية 116.

على كل حال، أتينا بالأخوين ماهر والأستاذ عدنان خطاب، وقدمنا بين يديهما حديثاً عن الموت، يُفهم من خلاله أن المتوفى يخصهما، وأن الموت سُنّة جارية، وكأس دائرة على الجميع، وطالب لا يمل الطلب. والأخ ماهر يحوقل، والأستاذ عدنان صامت لا يعلق، وفي ظنّ ماهر أن المتوفى هي والدة الأستاذ عدنان، وهي عمته لماهر وأخته لأبيه، فقلنا: يا ماهر، رحم الله أبك، فقد وافته المنية صباح هذا اليوم، فاصبر واحتسب. فما كان منه إلا أن رفع برأسه إلى صدري وقد أجهش بالبكاء. فرحم الله أبا ماهر، وفتحنا غرفتنا للعزاء، وأخذنا بخاطر الأخوين ماهر في والده، والأستاذ عدنان في خاله.

قسم (12):

قسّمنا هذا يقطنه 120 سجيناً، منهم ثمانية رفاق شعبية، والباقي حماس، وقلعتنا هي قلعة الشهيد محيي الدين الشريف. أما على صعيد الأقسام الأخرى، فهناك قسم (16) يقطنه النصف من حماس والبقية من الجبهة الشعبية. وكان لي زيارات للإخوة هناك، فيهم عدد من النواب هم الأحبة: محمد جمال النتشة، ومحمد إسماعيل الطل، وعبد الجابر فقهاء، ونزار رمضان، ومحمد ماهر بدر، والوزير السابق عيسى الجعبري، والأخ الحبيب نبيل النتشة، والأحاب عزام حسونة، ونضال القواسمي، ومحمد تحسين شاور، ومازن النتشة، والدكتور عدنان أبو تبانة، ولفيف من الكرام يعانون من ظلم السجان، ومن قهر الحيطان والقضبان. وذات مرة وعلى كرمٍ من إخواني هؤلاء، ودعوة من أبي همام النتشة خطبت الجمعة فيهم. ويكفي من هذه اللقاءات الحميمة والشحنة الأخوية التي يصنعها هذا اللقاء، بهذه الوجوه الكريمة، مما يهون على الجميع من كابوس الاعتقال، فنفسُ الرجال يحيي الرجال كما يقال.

الاعتقال الإداري وقرار الإضراب:

الاعتقال الإداري اعتقال احترازي ظالم، وإجراء تعسفي جائر، ورثته دولة الاحتلال عن حكومة الانتداب البريطاني، وطورته مع الأيام وشرّعت له في برلمانها، واستثمرت الرأي العام العالمي في حربه على الإسلام بدعوى الإرهاب، ولتجعل منه سوط عذاب تذييق به الويل لرموز الحركة الوطنية وعلى الخصوص أبناء حماس، ولتجعل منه ذريعة لممارستها الظالمة ضدّ هذه الشريحة من الشعب الفلسطيني. بل وتعدى ذلك بالضرر والأذى إلى محيط كل معتقل إلى جموع الأهالي، فما من بيت إلا وينكب من تداعيات هذا

الإجراء الظالم. حتى نواب الشرعية من حماس، دون غيرها، لم يسلموا من هذا الأذى. بل هم في دوارة متجددة، والأمر غالباً محصورٌ فيهم إلا أفراد من الجهاد الإسلامي والشعبية.

إن الجميع من أبناء حماس عانوا طويلاً من هذا الظلم، وخاصة القيادات من الصف الأول والثاني والثالث، وإن بعض الإخوة أمضى سبع سنوات متتالية، ومنهم من أمضى اثنتي عشر سنة على فترات متقاربة. فانظر إلى هذه السنين تأكل من أعمارنا بلا ذنب ولا تهمة، فهي مشكلة استعصت على الحل، وحالة مرهقة لهذا الجموع، حتى بلغ السيل الزبى عند هذه الشريحة من الإداريين، الذين طال عليهم أمد هذه الحالة. حتى إن الحديث يدور بين الإخوة ومدوبين عن مصلحة السجون، وعلى رأسهم الدكتور بيطن، والذي هو حلقة الوصل مع الشباب، قالوا له: إن أيامنا هنا أكثر منها في الخارج، وإذا خرجنا فهي زيارات في ظل هذا الإجراء. هذا ما سمعته من الأخ الحبيب نبيل النتشة في حوار مع بيطن، فالسجن هو القاعدة والخارج هو الاستثناء في حياة المعتقل الإداري. بالطبع هي رسائل حملها الدكتور بيطن للشباب، ولكن، "على بال مين ياللي بترقص في العتمة"، فهذه الحوارات لم يرشح عنها شيء.

لذلك توجه الإخوة للاحتجاج، فتداولوا الأمر بينهم، وأشبعوه رأياً وشورى، وتشجعوا له، وتواصلوا مع الإخوة في "النقب" و"مجدو". وتشكلت لجان هنا في "عوفر"، وهناك في "النقب"، ليدخل الجميع إضراباً مفتوحاً عن الطعام، وشعاره الخلاص من الاعتقال الإداري، أو "إلغاء سياسة الاعتقال الإداري". واتفق السجنان عوفر والنقب على انتهاج خطوات تصعيدية تبدأ بمقاطعة العيادة، ثم مقاطعة الدواء، ثم إضراب عن الطعام ليومين في الأسبوع حتى الوصول إلى اليوم المتفق عليه لخوض غمار معركة الأمعاء الخاوية.

وفعلاً بدأت الخطوات، وباشرت لجنة "عوفر"، التي يرأسها الأخ نبيل النتشة وعضوية الأخوين عبد الجابر فقهاء وجمال الطويل، أعمالها، وكذلك الإخوة في "النقب" باشرت لجنتهم، برئاسة الأخ رأفت ناصيف وعضوية يوسف اللحام وطلال أبو عصبه، عملها. وكان الأخ المجاهد فادي حمد مندوباً للجنة "عوفر" في قسم (12)، ولم يتخلف أحد من الإداريين حتى المرضى عن المشاركة في الخطوات التصعيدية.

لكن الإخوة في ”النقب“ اجتهدوا أن يعلقوا الخطوة، لوعود كاذبة من الشباك ومصالحة السجون، وسيطها الدكتور بيطن. وهي أحلامٌ دغدغت عواطف بعض الإخوة هناك، فأثاروا بها حفيظة إخوانهم في ”عوفر“، واعتبروا التعليق خذلان من ”النقب“. ومن خلال هذا التصعيد، رحّلت إدارة ”النقب“ المجاهد رأفت ناصيف إلى سجن مجدو، المقطوع عن بقية السجون.

تخوفات من إضراب المعتقلين الإداريين المفتوح:

الإضراب المفتوح هو الخطوة الأخيرة في عرف المعتقلين، فهو السلاح الأخير الذي يستخدمه الأسرى في مواجهاتهم مع مصلحة السجون بعد استنفاد جميع الجهود، وعنوانه دائماً مطلبى لتحسين ظروف الاعتقال، ولم يرتق إلى عنوان سياسي. أما الإضراب عن الطعام هذه المرة عند الإداريين لم يكن مطلبياً، ولا هو إضراب ضد مصلحة السجون، وإنما أخذ بُعداً آخر، بُعداً سياسياً وضدّ الشاباك، ضدّ سياسة الاعتقال الإداري.

فهو إضراب سياسي بامتياز، وهو ذاهب إلى كسر عظم إن صحّ التعبير. وتقديراً للموقف، منا من تحفظ على سقف هذا الإضراب، وعلى صيغة بيان الإضراب المصبوغة بالإلزام، وهذا لم يحصل من قبل، فالإضراب المفتوح خيارات وقدرات، أما الإلزام فهو لغة جديدة في عرف الاعتقال. بل إن الداخل على غير رغبة ولا قناعة، سيكون حمله أحمالاً، والثقل أثقلاً، والمعاناة عنده بلا حدود. لهذه الاعتبارات، ولتخوفي أن الإضراب السياسي، ضدّ الاعتقال الإداري، ومن وراءه الشاباك، ومن ورائهم جميعاً الكنيست ودولة الاحتلال، لن يكون من السهل أن تستجيب له دولة الاحتلال، لأن الاعتقال الإداري بمثابة الحزام، والدرع الواقى لسياستها الأمنية.

تحفظت وبعض الإخوة، منهم الأمير العام الأخ سامي حسين، والشيخ صالح العطية، والدكتور محمد غزال، على هذا السقف، وعلى التباين القائم بين ”عوفر“ و”النقب“، مع قناعاتنا أن يوماً واحداً، بل ساعة واحدة في السجن ظلم وإجحاف، وأيّ إجحاف، فكيف بتحديد الاعتقال الإداري لمدة سنة، وبرضى منا؟

تحفظنا جميعاً والإخوة محمود الوردان وأبو مجاهد [أحمد] عطون من باب تقدير الموقف؛ لأنه تحول ملفه من الإداري إلى قضية. ووصلت رسالتنا إلى الإخوة في قسم (16)،

نقلها محرضاً الدكتور أمجد الحموري، الذي أراد أن أقود هذه الخطوة، ووجد هذا التحريض أرضاً خصبة عند إخواني في قسم (16). فكتب إليّ الأخ الحبيب أبو همام النتشة برسالة مضمونها أن هذه معركة قد آن وأنها، وأن الاستقطاب لها على أشده، فلنحرض لها، ولنمضي على بركة الله. ومع عظيم حبي لأبي همام، فقد أبدت تقديري وتخوفي، وإخوة آخرون كذلك، لأبعاد هذه الخطوة. فإن كان الهدف من ورائها هزيمة الشباب، ومن ورائه الكنيست، فإن دولة الاحتلال تقول لنا: موتوا. كما قالها من قبل وزير الأمن الداخلي تساحي هنغبي يوم أن أضربنا سنة 2004، على صعيد جميع السجون، وهو إضراب مطلب، فكيف بهذا وهو سياسي بامتياز؟

وربما أكون مخطئاً في تقديري للموقف، لكنه رأيي، ورأي من يقرأون الواقع من أصحاب التجارب، وقد ذكرت أسماءهم. ولئن استجاب الشباب لحل بعد الإضراب، فلن يقبل أن يعالجه بشكل جماعي، بالصورة الجماعية التي دخلها المضربون، وإنما يعالج كل ملف لكل معتقل على انفراد، والله أعلم.

إنني أتحدث عن تقييم حالة، إذ إن دولة الاحتلال، للاعتبارات الأمنية، لن تتخلى عن سياسة الاعتقال الإداري، وقد مارسته ضد الفلسطينيين في الداخل قبل حرب 1967، بعد قيام دولتها سنة 1948، ولم يكن وقتها مقاومة ولا انتفاضة. وشأنها في هذا شأن 38 دولة في العالم تمارس هذا الإجراء، وإن تنازلت عن شيء منه، فذلك يعني العودة إلى التحقيق العسكري، وإلى الكسر والخلع في زنازين التحقيق.

ظلم الإداري دفع بالمعتقلين الإداريين إلى أن يقاطعوا أولاً المحاكم العسكرية، والتي لا تعمل إلا بوحى من الشباب، والتي كان الإداريون يعزون أنفسهم في الذهاب إليها. وإن كان هناك من دافع لذلك، فإنه "الفرفة" و"الفشفشة"، كما عبر عنها الشاعر الفلسطيني إبراهيم طوقان رحمه الله:

برقت له مسنونة تتلهب	أمضى من القدر المتاح وأغلب
حزّت فلا حدّ الحديد مُخضّب	بدم ولا نحر الذبيح مخضب
وجرى يصيح مصففاً حيناً	فلا بصراً يزوغ ولا خطي تتنكب

ولطالما قلنا للنيابة الصهيونية ولحاكمها، خذونا للتحقيق أو حاكمونا، أما أن تحتجزونا هكذا باسم المواد السرية الكاذبة التي تعرفونها ولا نعرفها، فماذا يسمى



هذا؟ هذا ظلم زيادة على الظلم الذي نحن فيه... هذا هو التلذذ بعذابات الآخرين. ولكن دون جدوى، فالحاكم قبل النيابة وبعدها هو غريمك، وما يقرره الشابك لن يخرج الحاكم عن نسه. ولقد سبق للإداريين أن قاطعوا المحاكم سنة 1996، ثم رجعوا عنها، وهذه الأيام كل مَنْ خاض الإضراب عن الطعام، على صعيد الأفراد، فالحل لا يتم إلا بصفقة مع الشابك، وعن طريق المحكمة، وعلى مزاج الشابك.

لقد كتب لي الأخ أبو همام رسالة ليبدو تخوفي وتحفظي على هذه الخطوة، قبل أن يعلّق "النقب" موقفه، "وكأنك يا أبا زيد... ما غزيت". وإن كان لي كلمة في أبي همام، فهو، والله، أكبر من أن أقول فيه، إنه فارس الميدان، وإنه الذي هزم عدوه في جميع معاركه، وهو الذي لا يبارى، وقد كان له تجربته في هذا المضمار. فالله يشهد أن ما بين روحي وروحه عشق، وأن الصبايا لو يعلمن ما بين روحيّنا من دفاء وعاطفة وحب لأكلتهن الغيرة. وهذه رسالة أبي همام، يا رعاة الله:

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد
وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم أن نلقاه...
أخي وشيخي وصديقي الحبيب "أبو مصعب" حفظه الله
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،
وأسعد الله أوقاتكم بكل خير

بدايةً، أشهد الله أنني أحبك في الله حباً كبيراً، وأنك في القلب منزلة وقدراً،
وعلم الله أنني أدعوك في أوثق الأوقات والحالات التي أتوجه فيها إلى ربي وربك
بأن يجعل لك في كل ميادين الخير نصيباً وحظاً، وأن يكتب لك الله فرجاً عاجلاً
وشيكاً، وعوداً إلى أهلك عزيزاً قريباً... إن ربي سميع الدعاء.

أخي الأحب الأعز...

لقد عزم الإخوة — كما تعلم — على مواجهة الاعتقال الإداري بخطوات،
وقد شرعوا بذلك الفعل. وأعلم أنّ لك، كما لي، كما لعدد من الإخوة بعض
التحفظات على بعض الخطوات، أو على كلها... ولكن اتّخذ القرار بأغلبية كبيرة
على خوض غمار المواجهة وبدأت المعركة، وليس لنا، والله، إلا أن نشدّ على
أيدي إخواننا، وندعم خطوتهم ونرفع معنوياتهم. فالأمر اليوم جامع، والكل

له داعم، وإن كان بحاجة لِنَفْسٍ يبعث فيه الروح، فهو نَفْسُ الشيخ الأثير الأديب الأريب الشجاع الكريم الحبيب محمد أبو طير.

صاحبي وشيخي الغالي،

لأُخفيك، فقد كنت على تردد في بداية الأمر، غير أنّ تمادي العدو في الاعتقال الإداري من غير ما مناسبة ولا مبرر، وحماسة الشباب لمواجهة ذلك بكل قوة، دفع عني الريبة والشك في جدوى الخطوات، وأجدني اليوم منشراحاً كما ذهب إليه الأحباب.

أخي وسيدي المفضل وزينة الرجال ...

عزمتُ — أكثر من مرة — على زيارتكم، ولكن لم يتحقق لي ذلك، وكأن الإدارة لها غاية في المنع هذا... وإني لأرجو منكم — وأنت لا تردّ رجاء مُحب — أن يكون هذا الكتاب كافياً للمضي قُدماً على ما توافق عليه أحببتك وخاصتك وإخوانك، وأن تجعل كل همتك، وكل خبرتك، لدعم الخطوة، وإسناد المعركة برأيك الرشيد، وهمتك الصلبة، ونَفْسِكَ المبارك، وإني لك محب وبك واثق.

لك مَنِّي خالص الودّ وعميق الدعاء

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الجمعة 26/ذي الحجة/ 1434

11/تشرين ثاني/ 2013

أخوك

محمد جمال النتشة/ أبو همام

بعد هذه الرسالة، قمت بزيارة إلى قسم (16)، وجمعتنا الساحة مع أحبائنا، وتناجينا فيما بيننا والأخ أبو همام حول هذه الخطوة، وتحفظاتي عليها، وأبدت موقفي من مدى جدية دخول "النقب" ومشاركته في هذه الخطوة. وأنه هو نفسه وجه عتاباً قاسياً للذي فعلوه. و"النقب" تاريخياً بجميع الفصائل، لم يسبق له أن خاض غمار هذه التجربة، يوم أن جمعت ساعاته عشرة آلاف معتقل إداري.

وبالعودة إلى القسم عندنا، فالتباين في الآراء شيء صحي، وهو حاضر، والوضوح هو السيد لا الغموض. واجتمع الإخوة الإداريون لأكثر من مرة على صعيد قسمنا، وتداولوا الأمر مع الأمير العام أبي إبراهيم [سامي حسين]. وناقش أبو إبراهيم الأمر



هنا وهناك في قسم (16) مع الإخوة، والتقى لجنة الإضراب هنا وهناك، ولم يبخل على اللجنة في إدارة الملف متجرداً، وبلا انحياز. ومن واقع المسؤولية تصرف—والإنصاف ألا يُعتب عليه— والمصلحة العامة هي التي نعمل من أجلها، ومع قناعاتي بأن التنظيم هو صاحب الشأن، لوجود معتقلين غير إداريين، فالتنظيم هو المسؤول، وهو الذي يقود، والثقة هي حبل الود بين اللجنة والأمير، بل الأمير دفع صلاحياته للجنة، وأعطاه حرية التصرف.

على كل حال، شاركت لمرة واحدة الإخوة الإداريين في اجتماعاتهم، وهي لم تتعد ثلاثة اجتماعات. مع أنني ما غيبت نفسي عن خطواتهم، لكن للوم وعتاب لحق بي، ولتصرفات لم ترق لي، قلت لإخواني: ما أنا بالمتأخر عنكم، ولا أنتم بالمتقدمين علي في هذه الخطوة. ولكن تجربتي علمتني ألا أكون مندفعاً في شأن يخص حياة الناس، وفي خطوة مصيرية كهذه، وألا يصادر رأيي بالخبيل؛ لأن الأخ أمجد توعدني مداعباً، فشكاني إلى أبي همام ليكتب إليّ، فكتب إليّ، غفر الله لنا جميعاً. ولا أدري ماذا يُراد مني بعد هذا العمر وأنا في الرابعة والستين، وقد خرج الإجماع بإعفاء المرضى، ومن هم فوق الخمسين من العمر.

وحتى لا يُظلم ”النقب“ فقد شارك أفراد منه لا يتجاوز عددهم 25 مجاهداً، إخوانهم في إضراب الكرامة سنة 2004، الذي خاضته حماس في ”نفحة“. كل هذه الأحداث دارت فصولها أواخر سنة 2013، وأوائل 2014، إلى أن جدّ جديد.

قرار الإضراب، نيسان/ أبريل 2014:

تنادى الأخوة من جديد هنا في ”عوفر“، وهناك في ”النقب“، لخوض غمار هذه المعركة، ضد سياسة الاعتقال الإداري. وبعد لوم من هنا، وعتاب لإخواننا هناك في ”النقب“ على تعليق الخطوة فيما مضى، تداعوا من جديد، وأثمرت الاتصالات على تحديد يوم للانطلاق. وبعد تعبئة ومشاورات ولقاءات هنا في قسم (12)، وهناك في قسم (16)، أجمع الكل على يوم الخميس 2014/4/24 أن يدخلوا في الإضراب عن الطعام. وتشكلت لجان من جديد، هنا في ”عوفر“ الأخ عبد الجابر فقهان رئيساً وعضوية الأخوين أشرف عصفور وأمجد الحموري.

وجاءنا الأخ أشرف عصفور من قسم (16) زائراً لأيام، وهو يحمل المشروع الذي عليه سيدخل الإداريون الإضراب. وقد تحفظ الجميع هنا في قسم (12) على صيغة الإلزام التي جاءت في ثنايا البيان، والتي تبنتها اللجنة الجديدة، لكن مضى الإخوة في حشدهم. وجاء يوم الخميس... يوم البداية لمعركة الأمعاء الخاوية، وكل مَنْ دخل الإضراب من "عوفر" رُحّلوا إلى سجن الرملة، وأما النقب فتم عزلهم هناك في قسم الخيام.

لقد خرج من قسم (16) واحد وعشرون حمساوياً، وعلى رأسهم النائب المجاهد محمد جمال الننتشة، وخمسة من الجهاد الإسلامي، واثنان من الجبهة الشعبية، ومن قسم (12) خرج ستة من حماس، وعلى رأسهم الأخ محمود الوردان وفرج رمانة، وقد أبلغت السجون بهذا، والهيئة القيادية العليا لحماس داخل السجون، وكذلك وسائل الإعلام هي الأخرى في صورة الحدث. أما "النقب" فقد دخل الإضراب منهم 46 من حركة حماس، وخمسة من الجهاد الإسلامي. ويصاحبهم جميعاً الدعاء في الصلوات الجامعة، ومن الليل، وفي صلاة الصبح. والخطوة ماضية إلى أن يأذن الله بحل لها، ورجاؤنا في الله أن ينصرنا، حتى إنه كتب إلي أخي أبو همام برسالة ثانية أثبتتها هنا، يستنهضُ الهمم، ويستنفِرُ الجهد.

بسم الله الرحمن الرحيم

صديقنا الحبيب وشيخنا الكبير وأخانا الغالي العزيز

(أبو مصعب)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،

وأسعد الله أوقاتك بكل خير

شهد الله أنّ لك في القلب منزلةً وقدرًا، وكم أنا مشتاق لنتناول الحديث معك أيها صاحب الحبيب الأريب... سررت جداً بما وصلنا من حتّ للإخوة على اللحاق بالركب المنطلق، فقد أجمع الناس وعقدوا العزم، ويبدو أن بعض الإخوة القادرين على الإضراب في شكّ من جدوى الخطوة، وهم بحاجة إلى حفز وحضّ على الماضي قُدماً مع إخوانهم، فالخطوة بحاجة إلى تعزيز بالعدد والإسراع ليبدأ الناس يوم الخميس بقوة وحشد جماعي مذكور معتبر.

لا ريب أنّ كلمتكم ذات أثر في نفوس الأحبّة. نرجو أن تُتبع كلمتك المشجعة في اللقاء المذكور بكلمات على مسامع الإخوة فرادى ومجتمعين، لنجعل من الأيام

المتبقية حتى يوم الخميس القادم 4/24، أيام حشد وحفز، لتكثير السواد، وجمع الجهد ليكون ذلك أدعى لنجاح المشروع وتحقيق الإنجاز، ولا ريب أن الشيخ أبا مصعب هو الأقدر على ذلك، إذ البعض بحاجة إلى كلمة من صاحب همة وتجربة كحضرة شيخنا الغالي الحبيب.

لك منِّي كل الحبّ وكل الودّ وكل الدعاء بالفرج والخير كله

السبت 4/19/ نيسان/ أبريل/ 2014

19/ جمادى الآخرة/ 1435

بحبك كثيراً

أبو همام

وفي اليوم الثاني للإضراب، يوم الجمعة، خَطَبْنَا الأخ عبد الرحمن اشتية عن الحرية، يا رعاها الله، ولقد أحسن وأجاد، وألقى بإضاءات رائعة فقال:

الحمد لله رب العالمين، عليه نتوكل وبه نستعين، وإليه نلتجئ وله ندين، الحمد لله حمد مَنْ لا يرجو سواه، ولا يدعو إلا إياه، ولا يُتوكل إلا عليه، ولا يُطمع إلا فيما لديه، ولا يُفر إلا إليه، وأشهد أن لا إله إلا الله، ولا رب غيره، وأشهد أن سيدنا وقائدنا وقودتنا محمد عبد الله ورسوله... حادي لواء الأحرار.

أما بعد، فيا أيها الذي آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفسٌ ما قدمت لغد...

فراشة هامت بضوء شمعة، قالت لها الأنسام: مجنونة أنت، كثير قبلك مَنْ أودى بهن الهيام، لم تسمع الكلام، وراحت تحوم وتحوم حتى هوت وحشرج الحطام، أموت في النور، ولا أعيش في الظلام، بل اسمع لسحرة فرعون لما آمنوا، ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾¹⁰ وقالوا في موقع آخر من القرآن: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾¹¹. فحين يتساوى البشر والكائنات في طلب الحرية، وحين تكون الحرية في كل زمان ومكان شعار الثورات والنهضات... كان التمايز في مناهج هذه الحرية.

¹⁰ القرآن الكريم، سورة الشعراء، آية 50.

¹¹ القرآن الكريم، سورة طه، آية 72.

ثم قال، يارعاه الله: ”حريتنا نهج حياة“، وجعلها إضاءات:

أولها: أن حريتنا مقبّدة، ثانيها: أن حريتنا عزة وكرامة، لقول النبي ﷺ: ”أطلبوا الحوائج بعزّة الأنفس، فإنّ الأمور تجري بالمقادير“¹²، ثالثها: أن حريتنا ضرورة بحيث لا تبغي، ولا تطفئ على حريات الآخرين، ولا هي على حسابهم، كردة فعل السلطان العثماني سليم الأول، على تنصير المسلمين في الأندلس، أراد أن يكره نصارى مصر على دخول الإسلام مقابل ذلك، فرفض شيخ الإسلام في عصره. رابعها: ولأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، كانت حريتنا واجبة لا تستجدي، ولا نرضى بها مجزأة.

وتحدث رضي الله عنه عن معركة اليرموك في يوم ذكرها 25 جمادى الثانية/ 13هـ، فاستشهد بقول سيدنا خالد رضي الله عنه: ”إنما تكثر الجيوش بالنصر وتقل بالخذلان“. ودعا لإخواننا المضربين عن الطعام.

الإضراب، الانطلاقة والهيئات:

انطلق الركب الكريم، انطلق قطار الإضراب، بصدور حممها كالبركان — والله نسأل أن يجعل النصر في ركابه — انطلق الركب من الرجال بهم كالجبال، والذي يعتلج في صدورهم أكبر من كل التحديات. فلم يبق لهم خيارات، بعدما استنفذوا كل الخيارات. إنه لم يبق لهم إلا المواجهة الساخنة بالقوة الممتنعة، بعد التوكل على الله. إنه لم يبق لهم إلا شرع الجوع يمز بسفينتهم ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾. ولم يبق لهم إلا الصبر على نقنقة الأمعاء الخاوية، وأن يتضامن الأسرى مع إخوانهم المضربين في معركتهم العادلة، وأن يتفاعل الشارع الفلسطيني، والرأي العام العالمي ضد سياسة الاعتقال الإداري الظالمة. فلا بد لهذه جميعاً أن تجتمع روافدها في نهرٍ واحدٍ لكي اليد الجائرة العقور، وأن تنتصر لمعركة الجنوب الطاوية.

على كل حال، كانت لي زيارة لإخواننا في قسم (16) لثلاثة أيام، وفي هذه الزيارة نزلت ضيفاً على الأخوين الحبيبين نبيل النتشة ونضال القواسمي، وتمت سعادتنا بانضمام الأخ عيسى الجعبري ضيفاً على الغرفة فترة إقامتي بينهم. وحظيت بلقاء الإخوة

¹² لنص الحديث وتخريجه انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة، الحديث رقم 390. [المحرر]

جميعاً. وفي اليوم التالي للزيارة كانت الجمعة وكُنْتُ خطيبها. وجزى الله إخواننا خير الجزاء على حسن الضيافة، وعلى الحفاوة التي أحاطوني بها وهؤلاء هم أهل الخليل.

وكان الإضراب عن الطعام الحاضر القوي في حياة الأسرى، مَنْ أُضرب منهم عن الطعام، ومَنْ لم يضرب. إنه سلاح القوة الممتنعة في مواجهة السادية الملعونة، والعدوانية المتغولة المستهتره... إنه معركة الجموع المغلوبة المهورة، التي أخذت على عاتقها أن تنتصر لحريتها، ولإنسانيتها من الكراهية العمياء، ومن الحقد الدفين الذي يجري في حياة الاحتلال مجرى الدم... إنه معركة الأهالي مِنْ الآباء والأمهات، ومن الأبناء والبنات، ومن الإخوة والأخوات... إنه معركة العدالة ضدّ الظلم والنذالة، ومعركة الإرادة ضدّ الاستهتار والخسة والبجاجة، وإنها روح التضامن التي لا تغيب عن ضمائر الجموع الثائرة..

بل إنها حالة عاطفية تلقي بظلالها على الأرواح الطليقة، لتنتصر على شهوة الجوع، مِنْ أجل العيش في ظلّ حياة كريمة، إنها حالة عاطفية تُلقي بظلالها على يوميات الأسرى، وعلى نشاطات الساحة الاعتقالية، وعلى المزاج العام لهذه الجموع. فنحن جسم اعتقالي واحد: "إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"¹³. وعواطفنا تعيش نسيجاً واحداً ومتماسكاً. ولوداع الرجال جراحات لها في القلب غصة، وموقف له في الكبد قُرحة. وأصعب ما في الأمر هو العجز، ولكن هذا هو الطريق. ورياضة الصباح كذلك غاب عنها فرسائها، وتبقى الأعصاب مشدودة لا تعرف التراخي حتى يترجل الفرسان عن سهوات الخيل بالنصر إن شاء الله. ولا شك أن مَنْ بقي من الرجال هم جزء من المعركة يخوضونها بخطواتهم التضامنية، "وَمَنْ خَلْفَ غَازِيَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا"¹⁴، فهي معركة واحدة فرضتها ملحمة العواطف، حيث لا ينقطع الدعاء، ومع الدعاء لا يتوفر "القطران". ولا يتناول المرضى استحقاق الدواء، إلا مَنْ اضطر لذلك، وحالته لا تسمح بذلك. ومع الدعاء والامتناع عن الدواء تضامن في الميدان، والإضراب ليوم واحد في الأسبوع، أو ليومين، أو لثلاثة، وقد حصل، ولقد حاول القائمون على الأمر أن يأتوا بالإخوة من فتح ليتضامنوا، ولو ليوم واحد، لكن دون جدوى، فاقصر الأمر علينا وعلى رفاق الشعبية حتى النهاية ومعنا الإخوة في الجهاد الإسلامي.

¹³ جزء من حديث أخرجه البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير.

¹⁴ صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل من جهز غازياً أو خلفه بخير، حديث رقم 2688.

ومن خلال أحاديث الناس، واللقاءات التي أمضيتها مع الإخوة في قسم (16)، وجدت وجداً على فراق الأحبة، ووجدت تفاوتاً حول التصور لطبيعة المرحلة التي يمر بها الإضراب، كما وجدت توافقاً وانسجاماً في المشاعر بين جميع المجاهدين هنا وهناك، فمشاعر الجميع تفيض بالحيوية وتدفع بالتضامن وبقوة، بل ويوم الجمعة ولمرتين حرض الخطباء على التضامن، وفي الجلسات العلمية كذلك.

وكيف لا يكون هذا والمعركة معركة الجميع. والمضربون إخوانهم؟ وكيف لا تفيض مشاعرنا جميعاً هنا وهناك بالتضامن مع الشيخ الجليل محمد جمال النتشة؟ ومشهد الرحيل يعتصر له الفؤاد، وتتفتت له الأكباد؟ مَنْ منا لا تأخذه الحمية من أجل الشيخ أبي همام؟ ومن أجل الجيش الذي خرج معه؟

لأجل هذا كرهت حديثاً نبا أطرافه إلى سمعي، يلذع القائمين على الأمر وبقية إخوانهم، وفيه ظلم وتحامل لا مبرر له، وسقطات لسان ظالمة، بلغت بأهوج أن رمى إخوانه بـ”المخلفين“، وهذا ظلم يفسد النوايا، ويفسد على الأخوة روحها، ويأتي على العمل ببرودة في المواقف، وزعزعة في العواطف. وكما قيل: ”البعيد عن الطوشة“، ”يقول عن حاله خيال“.

لم يأل التنظيم وقيادته جهداً في نُصرة الإضراب، ودَفَعَ بالأمور دفعاً نحو التضامن، ووضع نفسه في خدمة الإضراب، وحرص للإضراب على عين قيادة التنظيم، والأخ باجس نخلة لم يبق في قوس التحريض من منزع. وكذلك الأخ عدنان عصفور، وخطيب الجمعة لم يبق على أحد تحت عنوان: ”الحمية والأعدار“. والأمير العام هو الذي شكل لجنة إسناد لمتابعة أحوال المضربين من الإخوة باجس نخلة ونزار رمضان، والتنظيم هو الذي تبنى ويتبنى الإضراب بمسؤولية عالية، وهو الذي يدير معركة الإعلام وحركة التضامن ويتواصل مع وزارة الأسرى، ومع نادي الأسير ومع أصحاب الشأن في غزة.

وعندما تعرض للاعتداء الشيخ محمد جمال النتشة والأخوين محمد ماهر بدر —الذي كُسر إصبعه— وطارق ادعيس، من قبل فرقة التفتيش التابعة لمصلحة السجون، باشر الأمير العام سريعاً بالتواصل مع وسائل الإعلام، ومع الأخ قدروة فارس، والأستاذ فادي القواسمي، وجواد بولص، وطلب منهم زيارة عاجلة للأخ

محمد جمال المنتشة للاطمئنان على صحته، والاضطلاع على طبيعة الاعتداء وحجمه. وهذا واجب لا يشكر عليه أحد: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾¹⁵. ولكن لا يعرف الفضل لأولي الفضل إلا أولوا الفضل.

وبعد هذا التفاني مع الشعور بالتقصير، هناك مَنْ يخرج على هذه الروح ويعكر المزاج، ويؤذي إخوانه ويُعرض بهم، ويتعدى متبرعاً على صلاحيات التنظيم، لينقل أخباراً لا تخدم الإضراب، وتحمل في طياتها الأذى وعدم المصادقية وتفاجئ الرأي العام، والقائمين على الأمر، فالأخبار بابها التنظيم، وهو الذي يملك صحيحها. ومن الناس كذلك من ركب موجة الإضراب، ودفع بصدره مستعرضاً لأحداثه، وما كان له أن يغبر قدميه، نعم ما اغبرت قدماه، بل هو كُلُّ على سواه، أحاط نفسه بهالة القيادة ظلماً وزوراً، والأدهى من ذلك، أنه أسقط فشله على ”الشللية“ و”المناطقية“، والأولى به أن يقول: دعوها فإنها نتنة. والله إن كان لها بداية، فمن عنده ابتدأت، وهو صاحبها ليبرر بالخديعة أضاليه ودخيلة نفسه، متكئاً في دواوينه على عُجْب أصابه، وقد أشقى نفسه بثقة المجاهدين تحيطه بالمقت، وتلذعه بنظرات الشتيمة، لأنه خدعها ببُهرج الوجاهة، وبدد الثقة وقتل معاني القدوة في نفوس المجاهدين، وهذا كله من إفرازات الإضراب، وجزى الله الشدائد كل خير، لأنها تفضح دخيلة المرضى.

وعودة إلى قسم (12) مرة أخرى، فهو مُتَّكأ القوي والنشاطات واللقاءات والحوارات، ولا يقل حميةً وعطاءً عن بقية الأقسام في موقفه من الإضراب، وقد دفع بمن فيه من الإداريين لمعركة الإضراب، إلا مَنْ له عذره أو سُحِبَ إلى التحقيق. وشرَّ الناس من لا يقبل عذراً، ولا يقبل عثرة، فدفعات التضامن منها مَنْ انطلق في إضرابه، ومنها مَنْ ينتظر دوره، والمعركة تتدافع أحداثها من يوم إلى يوم... ولا يعلم نهايتها إلا الله.

الدواء كوسيلة احتجاج:

أما موضوع الدواء الذي يتم استغلاله في الإضراب كوسيلة للاحتجاج، فلي رأي فيه، وهو رأي عن تجربة وله وجاهته، حيث إن السجون عانت طويلاً من دور العيادة القذر في ابتزاز المرضى من الأسرى، فالرأي أنه ما دام الجميع لا غنى لهم عن الدواء، وأنه في النهاية سيصلهم مرة واحدة أو على دفعات، فالأحسن عندي أن أستلمه مرة واحدة

¹⁵ القرآن الكريم، سورة الشورى، آية 23.

على رأس كل أسبوع، وأنه لا منطِق في الذهاب إلى العيادة يوم، يوم، تحت اسم الاحتجاج والتعويق على العيادة وإدارة السجن؛ فالقانون عند عيادات مصلحة السجون أن تستلم الدواء يومياً وشخصياً.

فإذا غلبنا العيادة بالحصول على الدواء مرة كل أسبوع، وعن طريق الناطق باسم القسم وهو أخونا، فهذا بحد ذاته إنجاز. ولا يحصل هذا إلا بتعاون الممرض معنا، أما أن أعود إلى السيرة الأولى تحت مسمى الاحتجاج، فهذا لا أستطيعه، ولا ينسجم مع تجربتنا، وأجد في هذا فلسفة غير ناضجة، لأن الماضي يشهد على عيادات مصلحة السجون بأنها كانت وكرراً للإسقاط الأمني والأخلاقي، والحالة التي وصلنا إليها اليوم ناضجة جداً مع احترامي لرأي إخواني. والحالة هذه مسموح بها هنا في سجن عوفر، وغير مسموح بها في بقية السجون.

سجن عوفر والإضراب:

”عوفر“ معتقل للموقوفين من جميع الفصائل، وفيه قسم للأشبال، ومن بينهم الأسرى الإداريين. وعندما دخل الإخوة إضرابهم، كان لسجن عوفر دوره الطبيعي في قيادة الإضراب والدعوة إليه. بل كان متقدماً على بقية السجون في إضرابه ومواقفه، وفي تضامنه وحراكه. حتى إن ضباط مصلحة السجون قالوها بصراحة: أنتم متقدمون على الجميع في شأن الإضراب، وأنتم من يحمل لوائه، بالرغم من أن عوفر مركز توقيف. والحق أن سجن عوفر تفاعل بموجة عالية مع خطوة الإضراب، بالرغم من أنه يفتر إلى القليل من الاستقرار، ولأن ميزته السلبية هي التجديد لهذه الجموع الوافدة. فما من ليلة إلا ولها حظها في الاعتقالات، ولسجن عوفر حظهُ الأوفر في استيعاب القادمين الجدد، فهو يستقبل ويودع كالمطار ولا يعرف الاستقرار. والمسؤولية كبيرة، ومع هذا فهو الذي يتحمل العبء الأكبر في هذه المرحلة الفاصلة، مع إقرارنا أن صوت المضربين هو الذي يعلو على الجميع، فالسجون الأخرى ما يزال دورها بطيئاً في دعم هذه الخطوة، وهي مدعوة للمشاركة.

بل وتعجب أن عوفر، بوضعه الاستثنائي الذي يتكئ على عدم الاستقرار، والذي تتغير أيامه بديموغرافية جديدة كل شهرين على التقريب، ويزاحم بقية السجون ليأخذ دوره في دعم هذه الخطوة. وبعيداً عن الذين أضربوا من الإداريين، فإن الدفعة

الأولى من المتضامنين لحقت بالإضراب بأعداد بلغت 49 متضامناً من حماس والشعبية والجهاد. والجبهة الشعبية كانت حاضرة في الإضرابين الإداري والتضامني، وكذلك الجهاد الإسلامي، ومن بينهم رفاق كرام كقصي حسونة، وسالم بادي، وعبد الرزاق فراج، وغسان جابر، ومحمد قاحوش، وبشار دعنا، ومن الجهاد جمال حمامرة، وداود حمدان. وليس هذا فحسب بل على الطريق دفعات أخرى تنتظر، بينما المطلوب من النقب أن يدفع بحجمه، ومن نفحة أن تحافظ على رمزيتها، وفيها أبو تقي. وأما سجن مجدو فلا يُقبل منه الحياد، ولا من بقية السجون كذلك، وعلى الهيئة القيادية العليا أن تأخذ دورها في هذه المعركة، ولا يقبل منها زحف السلحفاة، مع تحفظي على مصطلح التوريط الإيجابي، وهو سلبي بامتياز، والذي طوى عليه بعض المضربين جوانحهم بقناعات ليس هذا سبيلها، ولا هي إيجابية في قيادة الناس.

بعد أسبوع من زيارتي لقسم (16)، عدت إليه ثانية لخطبة الجمعة بعد أن جاءنا ضابط السجن بخبر مفاده أن خطيب الجمعة ذهب في سفرية للعلاج إلى مستشفى الرملة ولما يعد بعد، فعرضوها على الأخ النائب أحمد عطون فاعتذر، فأخذت العيون تبحث عن بديل، والحيرة تطوف بيننا في نظراتها، وكأنها تريدني، فتبرعت متثاقلاً بالرغم من تعبي من الخطبة الماضية، وحتى أرفع الحرج عن الحاضرين.

وتشرفنا في يوم الإثنين 2014/5/12 بزيارة الإخوة الكرام نبيل النتشة وعيسى الجعبري ونضال القواسمي وفراس طبيش، بناءً على طلب الأمير العام، للوقوف على آخر المستجدات التي تتعلق بالإضراب، ولتشكيل لجنة طوارئ تقود المرحلة. وقد استنفذت الدورة الانتخابية نصابها القانوني، ولتتولى مسؤولية الفترة الانتقالية، إلى أن تتجلى معركة الإضراب، في ظلّ جوّ لا يسمح بإجراء انتخابات عامة. ولقرب الأخ أبو إبراهيم [سامي حسين] من ساعة الفرج، وقد اقترب أجلها، فحضرت وجوه الخير وبقية الشورى ولجنة الإسناد مع الضيوف الكرام، واجتمعوا في غرفتنا، وبحضور الأخ أحمد عطون، وكاتب هذه السطور. وافتتح الجلسة الأمير العام، وخرجت الشورى بتشكيل لجنة طوارئ من الإخوة الأمير العام، وباجس نخلة، وشكري الخواجا، ونبيل النتشة، وفراس طبيش وماجد ربايعه. وانفض الاجتماع على حلّ لجنة الإسناد وبقية التنظيم، وأن تأخذ اللجنة دورها في مسألة الإضراب إعلامياً وتضامنياً، وأن تتواصل مع الجهات الرسمية والحقوقية وبقية السجون لدعم الإضراب. ودعونا الله لهم بالتوفيق.

مضى على الإضراب عشرون يوماً ثقلاً، على المضربين وعلى المتضامنين، وأخذت حركة الشارع الفلسطيني بالتفاعل، ولكنه تفاعل خجول، وعلى تفاوت في بعض المحافظات، وإن تألقت الخليل على الجميع في الحراك. وكذلك نشكر لإخواننا في العمق الفلسطيني على تفاعلهم هناك في حيفا، وأمام السجون، حيث يقيمون صلاة الجمعة وسواها. والمطلوب هو المزيد إلى أن نعتق إخواننا من الأسر، ويتحرروا من نير الاعتقال الإداري إن شاء الله.

شهداء على عتبة "عوفر":

في يوم الخميس 2014/5/15 كانت الذكرى السادسة والستين على نكبة الشعب الفلسطيني؛ يوم أن شرذته العصابات الصهيونية على وجهه هائماً، وأخرجته من دياره عنوة وقسراً بقوة السلاح سنة 1948. فخرج الشعب الفلسطيني في ذكرى النكبة في مسيرات حاشدة، ومظاهرات عارمة كلمتها واحدة هنا وهناك في أرض الشتات: لا بديل عن حق العودة إلا بالعودة، وحق العودة لا يضيع بالتقادم. وفي مواجهات هذا اليوم مع جيش الاحتلال بالقرب من سجن عوفر، وعلى أرض بيتونيا ارتقى إلى علياء الخلود الشهيدان محمد عودة أبو ظاهر، ابن الخامسة عشر من عمره من بلدة أبو شخيدم... ونديم نواره، ابن السابعة عشرة من عمره، وهو ابن بلدة المزرعة القبلية، وخرج في تشييعهما جماهير غفيرة. وعندنا في السجن قمنا بواجب العزاء لأخينا الشيخ مشهور أبو الظاهر في ابن أخيه الشهيد محمد، فما أن سمعنا عن اسم الشهيد في الأخبار، إلا وذهب بنا الاسم إلى الشيخ مشهور. وهذه معركتنا مع الاحتلال في يوم من أيام النكبة.

يوم الجمعة 16 أيار/ مايو، وبعد صلاة الصبح وقراءة المأثورات، ذهبنا إلى فرشنا، وفي نفسي رؤية النبي محمد ﷺ، وقد طلبتها من ربي سبحانه، لأستريح من هم ثقيل جاثم على صدري يخص إخواننا في مصر. وأنتظر يوماً في الغادر عبد الفتاح السيسي، وإن بي في المنام أرى فضيلة المرشد الدكتور محمد بديع، رضي الله عنه، جالساً على أريكة في ثقة واطمئنان، وتحفز وقوة وحنان، ويرتدي بدلة سوداء، مع ربطة عنق زرقاء في مظهر جميل، ومن حوله وعلى الأرض أناس منبطحون يرتدون ثياب العساكر بلونها الكاكي، ورؤوسهم في الأرض، وأدبارهم هي الظاهرة. فاستبشرت خيراً برؤية المرشد على هذا الحال وعلى ما فيه من شباب، ورأيت السواد الجميل في شعر رأسه.

وفي رؤية أخرى تخصني، قصها عليّ أحد الإخوة فقال: المشهد في دير قديس في منطقة المسجد رأيتك وبيدك مُصحف، فقلت لي: أريدك أن تُسمّع لي المصحف، فقلت لك: سيستغرق ذلك وقتاً طويلاً. فقلت لي: سمّع لي ثلاثة مقاطع فقط، قمتُ بفتح المصحف على أواخر سورة الأنعام، وبدأت أنت بالقراءة، ثم بعدها شرعت في ابتهاج ديني كان الواضح فيه ”يا الله“، وكان النداء في كل مرة يرتفع أكثر، ومع كل صيحة كُنْتُ أرى مجموعة من الناس تنضم خلفك وترفع يديها، وتقول معك: ”يا الله“ حتى أصبحت الجموع حاشدة.

إنهاء الإضراب:

إنها خطوة لم يكن في الحسبان أن تنتهي على هذا الشكل في ظنّ من ذهبوا إليها، فقد ظنوها مقرط العصا، قريية المدى، صبحها قريب ونصرها سريع، ولكن هناك بون شاسع ما بين منطق السرايا ومنطق القرايا. على كل حال، إنها خطوة لم تُحبك خيوطها جيداً. ولأول مرة خطوة بدأها الإداريون بروح الارتجال، ولم يحيطوا بأقطارها في مواطن الدعم والتضامن، ومن ثمّ لم يسلم في نهايتها المتورطون إيجابياً من القيل والقال، في ساحات التضامن. وعندنا مثل يقول: ”اللّي بكبر حجره... ما بصيب“.

بعد أن مضى على الإضراب ثلاثون يوماً لم يحدث أي اختراق، وبعد هذا الحشد المتواضع من التضامن، الذي دفع به سجن عوفر وبقية السجون، والدور الإعلامي الذي قامت عليه وزارة الأسرى بقيادة الأخ عيسى قراقع، ونادي الأسير بقيادة الأخ قدورة فارس، ودور الإخوة في غزة، ودور الفضائيات والأهالي في المحافظات. على الرغم من كل هذا الدفع لم يحصل أي اختراق، ولم تفتح قناة للمفاوضات بين المضربين والجهات المعنية الإسرائيلية، مما دفع بالأخ الأمير العام أن يتصل بسجون الجنوب نفحة، والنقب، وريمون، وبرسائل بعثها إلى سجون الشمال، في دعوة لإضراب مفتوح عن الطعام تدخله السجون.

ولأول مرة يحصل هذا في تاريخنا، أن يكون الإضراب غير مطلبتي... كل هذا رحمةً بالموقف المتشنج، ونصرة للحال الذي وصل إليه المضربون. حتى يشكل ذلك ضغطاً على مصلحة السجون، ومن ورائها الشباك الذي طلب من مصلحة السجون أن ترفع يدها عن هذه الخطوة؛ لأنها كما قالوا: هذه حربٌ تحوضها حماس من داخل السجون

ضدّ "دولة إسرائيل". لأجل هذا بادر الأخ الأمير العام بالاتصالات مع السجون المذكورة، وعرض عليها أن يدخل الجميع في إضراب مفتوح عن الطعام، ابتداء من يوم الأحد 2014/6/1، بعد أن تتداوله الهيئة القيادية العليا. لكنها لم تتخذ قراراً في ذلك، فبقي الأمر عائماً، وظنّ "النقب" كما ظننا أن الجميع وافقوا على خوض غمارها.

ولقد سمعت من الأخوين جمال الهور [مسؤول] خارجية الهيئة، ومحمود عيسى، نائب رئيس الهيئة، أن السجون غير مستعدة لمثل هذه الخطوة، وأن عليها أن تبقى على حالة التضامن ضمن البرنامج الذي سارت عليه، والباب مفتوح لكل طارئ. لكن وضع المرضين تخطى كل هذا، فمع نقلهم إلى المستشفيات تبدلت الحسابات، لأن في ذلك إرهاقاً للطواقم الطبية، والأمنية، والمالية لدولة الاحتلال. والذي يعنيه ذلك أن حالة التضامن باهتة أمام الذي وصلت إليه الأمور، وأن الإضراب سيأخذ شوطاً بعيداً، والتصعيد السلبي من قبل حكومة الاحتلال، مع أننا حزمنا أمتعتنا، وعقدنا العزم على دخول هذه الخطوة وقلتها في خطبة الجمعة واضحة: "أنا أبداً في موقف الجيش تحت السلاح"، كما قالها الرافعي.

فعرزمت أنا وأخي أبو مجاهد أن نخوض غمارها. بالرغم من أن إخواننا تحفظوا على دخولنا لاعتبارات منها كبر السن، ولأننا أتينا على كل الإضرابات إلا إضراب 2012، ولظروفنا الصحية... ولا نزكي أنفسنا على الله.

يوم الإثنين 2014/6/2، ووسط هذه الأجواء، وفي زيارة خاصة وخاطفة، حضر إلينا زائراً من سجن الشارون محمد أحمد عطون، ابن أخيها النائب أحمد عطون ليوم واحد، بل لساعات، وكان لهذه الزيارة وقعها علينا. فبقدر ما أدخلت علينا السرور، بقدر ما أوجعتنا، فبلقائه سررنا، وعند الوداع حزنا، كئناً به حفيين، وكانت لوالده فرصة أن يلتقيه، وأن يحيطه بالنصيحة، وبقليل من التجربة، وكانت مشاعرنا فياضة لهذا اللقاء ولحرارة اللقاء ما بين الوالد وولده، وفي غرفتنا جمعتنا مائدة الإفطار، وكذلك الغداء، وكان لوداعه في القلب حرقه، وفي العين دمعة، وعند والده دمعات. ولم يتحمل محمد لحظة الفراق، فبكى وأبكانا، والحمد لله، فهذه ضريبة الجهاد يدفعها الآباء والأبناء، لقد كانت لحظات موجهة، وعند الله نحتسبها.

مضى على الإضراب خمسون يوماً، والشارع الفلسطيني يتفاعل بوتيرة عالية، والمركة الإعلامية على أشدها، نتاجاً لهذا الصبر العظيم، ونتيجة لهذه المعاناة الطويلة

التي يعيشها المضربون لحظة بلحظة. فهذا الإضراب بمستواه الجماعي، وحدوده الزمنية، تخطى كل ما فات من الإضرابات التي خاضتها السجون من قبل، وهذا الإضراب هو الأول لجموع الأسرى الإداريين في تاريخ الاعتقال الإداري. مما دفع بالشاباك أن يرفع بتوصياته إلى رئيس حكومة الاحتلال، بأن يتخذ إجراءً يُجبر فيه الأسرى المضربون على تناول الطعام بالقوة و"بالزنده". وفعلاً اجتمعت حكومة الاحتلال على هيئتها المصغرة التي تعرف بالكابينت... اجتمعت لثلاث مرات حتى تعالج هذا الموقف، وحتى تجد حلاً لهذه الأزمة. وقدمت اقتراحاً للكينست لتقن ذلك، ووافقت عليه بالقراءة الأولى، ثم اعتُمد بعد القراءتين الثانية والثالثة. أما "الزنده"، فهي مصطلح عبري يتكون من خلطة الحليب والبيض والسكر، كان الأسرى يجبرون عليها في إضراباتهم من خلال طواقم طبية تابعة لعيادات مصلحة السجون، كانت تقوم بحقن الأسرى عن طريق البربيج، يوضع بطريقة قاتلة وبالقوة في حنجرة الأسير المضرب ويحقن بـ"الزنده"، فإما إلى معدته إن لم يضل الطريق، وإما إلى القصبة الهوائية، ثم الرئتين إن ضل طريقه، وفي هذه الحالة يقع المحظور وتتم عملية القتل. وهذا ما حصل للرفيق إسحق مراغة من القدس، وللأخوين علي الجعفري من الدهيشة، ورأسم حلاوة من غزة في إضراب نفحة سنة 1980، فكانت النهاية القاتلة والمقصودة عن طريق "الزنده". ولقد كان مقبولاً على الأسرى في حينها أن يتناولونها عن طيب خاطر، إلا أنهم كانوا يغضبون عليها ويرغمون إمعاناً في الأذى، وبهذه الطريقة يُقتلون. ولقد أثارت هذه التوصية ردود فعل غاضبة عند نقابة الأطباء الإسرائيلية، حيث إنها رفضت رفضاً قاطعاً أن تتعامل النقابة مع هذه التوصية، وهددت بإجراءات عقابية ضد كل طبيب لا يقف موقف النقابة أو يتجاوزه، وهذا موقف يُسجل لها.

في اليوم الخمسين من الإضراب تمت عملية خطف لثلاثة إسرائيليين من منطقة غوش عتصيون Gush Etzion شمال مدينة الخليل، أحدهما جندي في التاسعة عشر من عمره، والآخران من طلبة المدارس الدينية القائمة على الاستيطان وعلى العنصرية والكراهية للعرب، والتدريب على السلاح جزء من مهمتها، وهما في السادسة عشر من أعمارهما. وعلى أثر ذلك قامت الدنيا ولم تقعد لخطف هؤلاء الأولاد كما يزعم الاحتلال وقادته. فهؤلاء بأعمارهم هذه "نوعر"، ولم يبلغوا الحلم حسب دعوى الاحتلال مع أنهم من حملة السلاح.

أما أطفالنا الذين قتلتموهم بدم بارد، وهم حقاً دون سنّ البلوغ على يد جنودكم، كمحمد الدرة وإيمان حجو، وأخيراً إحراق الطفل الرضيع علي دوابشة وهو والديه؛ وقد أتت النيران على البيت وما فيه، ومنذ أيام محمد أبو ظاهر ابن الخامسة عشر من عمره، ونديم نورة ابن السابعة عشر من عمره، ولحق بهم شهيداً كذلك محمد أبو خضير الذي أحرقه "النوعر" من المستوطنين، بعدما أحاطوا جسده بالسكاكين في طعنات غادرة... فهؤلاء ليسوا أطفالاً في عرفكم، هؤلاء جنرالات، وهم جنرالات أكبر من جنرالات جيشكم، هؤلاء ليس لهم عائلات ولا أمهات. وإن فعلتكم في الفتى محمد أبو خضير، حددت حقيقة وجوهكم التي تتستر وراء الإجرام. إن أطفالنا الذين يُعتقلون يوماً، وهم ما بين الثانية عشر من أعمارهم والخامسة عشر... هؤلاء جازئ في حقهم الاعتقال والترعيب والشبح والوقوف أمام المحاكم الإسرائيلية. فقط لأنهم فلسطينيون، لذلك لا تجوز الطفولة بحقهم، وهؤلاء ليسوا "نوعر" يا دولة الإجرام والإرهاب، ومن ثمّ فعليهم أن يعاقبوا حسب شرعة الاحتلال، وعليهم أن تقتل طفولتهم في سجونكم ومعتقلاتكم، وهم كثير. بينما المجندون من "النوعر" الصهيوني، والذين يعيثون في الأرض فساداً، وتحقنونهم بإبر الكراهية والتطرف من خلال مدارس الاستيطان، فلا يجوز تحجيم عدوانيتهم. هؤلاء القطعان من "النوعر" والمستوطنين الذين أتوا على حقول القمح كالخنازير فأحرقوها، وعلى أشجار الزيتون فقطعوها، وعلى المواشي والأغنام فسمموها وقتلوا وسرقوها. وعلى المساجد فانتهكوا حرمتها ودنسوها... هؤلاء يا دولة الإجرام "نوعر"، ولم يبلغوا اللحم. فلا يجوز لهم إلا مدّ حبال العدوان على غاربها.

وعلى إثر هذه العملية، أعلنت حكومة الاحتلال عن الخليل ومحيطها منطقة عسكرية مغلقة، فاستباحت المدينة بيتاً بيتاً بأذرعها العسكرية والأمنية. واستدعت سلاح المظليين لهذه المهمة. وجميعها تعمل جاهدة على قدم وساق في البحث عن هؤلاء المخطوفين. نعم، لقد أعطوا الحق لأنفسهم أن يفعلوا ما يريدون، فاستباحوا المدينة وما حولها من القرى والريف. والملفت للنظر أن تصريحات قادة الاحتلال جميعاً هي التركيز على أن المخطوفين صغاراً في السن، وأن اختطافهم عمل إرهابي. والذي زاد الطين بلة هو الدور الذي تقوم به الأجهزة الأمنية التابعة للسلطة، والتي وضعت كل إمكانياتها في خدمة الاحتلال، وتحت تصرفاته.



على إثر هذه العملية لم تكتف دولة الاحتلال بما فعلته في مدينة الخليل من خراب واعتقالات وترويع للأطفال والنساء، ولأكثر من مليون من سكان المدينة وضواحيها، بل وأتت على الضفة الغربية من شمالها إلى جنوبها، واعتقلت الجسم القيادي لحركة حماس، بما فيهم نواب عن المجلس التشريعي الفلسطيني، والعنوان هو العدوان بكل ما تعنيه هذه الكلمة، ولن أفاجأ بشيء لكل ما هو آت. فليس فيها إما نحن، وإما هم، بل نحن على طول المدى حتى نأتي على بنيانهم من القواعد، وما ذلك على الله بعزيز. وفي ظل هذه الأجواء المحمومة الساخنة، والتحريض على حماس هو الخطاب، فلا حديث عن الإضراب إلا بأكف الضراعة. وهذه أيامٌ ظلُّها ثقيل... ثقيل جداً وتدور همومها ما بين الحال الذي وصل إليه المضربون، وقد أتى علينا من الهم ما يطغى على الإضراب... وبين الحرب التي تدور رحاها على أرض الضفة الغربية...

وكان الله في عون الخليل وأهلها. ولقد أوقدوها ناراً للحرب، ولن يتلظى بناها إلا مَنْ أوقدها، وسيطفئها الله. أما حماس فلست بخائف عليها، وقدرها مع الأيام أن تأتي على دولتهم من القواعد، فإذا هي إلى زوال إن شاء الله. ولست بخائف على حماس ما دام في الميدان من يخشى الله، وعنده بقية وفاء لدماء الشهداء، وعندما يفرط مَنْ في الميدان بدماء الشهداء... عندها يصبح الخوف حقيقة، وهذا لن يكون بإذن الله لأن الظلم قد استنفد أيامه، ولأن الأمة لن ترجع القهقري فيستحمرها العملاء.

لقد كان للإضراب دوره الإيجابي على صعيد حركة التضامن في ساحات الضفة الغربية ومدنها، فحراك الشارع الفلسطيني أثار حفيظة السلطة وأجهزتها الأمنية، والتي لا يعجبها هذا الظهور لحركة حماس بهذا الزخم. بل إن الذي فجر بحور الغيظ عند الاحتلال... هو أن يرى الضفة الغربية تتوشح بالأخضر من جديد بعد هذه السنين من الحرب التي مارسها الطرفان بالتنسيق فيما بينهما ضد حماس، ولكن هيهات!!

في يوم الثلاثاء وبتاريخ 2014/6/24، وبناءً على طلب إخواننا في لجنة الإضراب محمود شبانة وعبد الجابر الفقهاء، ذهبت في معية الشيخ الفاضل حسن يوسف إلى مستشفى تل هاشومير Tel Hashomer للقائهم، وكانوا من قبل طلبوا لقاءنا، لكننا اعتذرنا بسبب الإجراءات القمعية التي فرضتها دولة الاحتلال ضدّ سجناء حماس في سجونها دون غيرهم، حيث حصرت الفضائيات التلفزيونية في ثلاث، اثنتان منها عبرية وواحدة عربية وما هي بعربية وهي ”العربية“، ولأنها على مزاجهم وتنسجم مع

سياستهم. وضيقوا على الفورات لساعة في الصباح لكل أربع غرف، وساعة في المساء، وبالطبع لوجود الحمامات خارج الغرف فإن ذلك على حساب الفورة، ويستهلك زمناً ليس بالقليل. وكذلك عقوبات على الكانتينا والزيارات، وهذا لحماس وحدها.

على كل حال، ذهبت في صحبة الشيخ، وأنا كاره لذلك، ولا أريد لأحد أن ينال مني، أو يشار إليّ. ولا أن يُسجلَ في صفحتي يوماً أنني كنت سبباً في تعليق إضراب، ولا حتى مُتَّكاً لذلك. وإن كنت من أكثر إخواني رحمة بإخواني، وهم أصحاب القرار أولاً وأخراً. ومع المساء وصلنا إلى المستشفى في بوسطة خاصة أخذتنا ورجعت بنا بعد أن اجتمعنا بإخواننا في لجنة الإضراب، عبد الجابر فقهاء، ومحمود شبانة، وأشرف عصفور، وأمجد الحموري، وبحضور الإخوة جواد الجعبري، ومازن النتشة، ومحمود الوردان، وجمال حمامرة من الجهاد، والرفيق سالم بادي من الشعبية. ولحق فيما بعد الأخ داود حمدان، من الجهاد الإسلامي، قادماً من مستشفى آخر، ومنتدباً عن إخوة آخرين، وكذلك الأخ فادي عمرو، من حماس، قادماً من الجنوب، ومنتدباً عن بقية إخوانه هناك.

دخلنا على الرجال، وهم رجال شموخهم كالجبال، واستقبلونا بعاطفة جياشة، كالأرض العطشى في الشوق إلى إخوانهم، وإنهم كذلك، رجال ما زادتهم الأيام إثباتاً، وانتصروا على الألم، وضربوا أروع الأمثلة في الصبر والثبات، ولهم قناة هياها لها أن تلين!! فقدمني الشيخ للحديث، بعد أن ارتاحت العيون لهذا اللقاء، وتبادلت أرواحنا عاطفة الأخوة، وبادئ ذي بدء، قلت لهم بصراحة متناهية: أنتم أصحاب القرار، ولقد رفعتم رؤوسنا عالياً، وإضرابكم أتى على كل ما مضى من الإضرابات، واحفظوا عني للتاريخ، أنني لن أقبل على نفسي في يوم من الأيام أن يُسجل في صفحتي أنني كنت سبباً في فك إضرابكم أو تعليقه، ولا حتى مُتَّكاً لذلك. ولا أطلب منكم أن تعلقوا إضرابكم، فأنتم من يقرر، ونحن فننتكم حتى النهاية.

فاعترضني الأخ أبو حمدي بأدب، وقال، بعد أن رحب بنا وحيانا: أنت شيخنا، ولن نقبل على أنفسنا أن نسبب حرجاً لمشايعنا، ولقد سعدنا بلقياكم، وتشرفنا بمجيئكم إلينا ونحن من طلبناكم أولاً وأخراً، فأنتم مشايخنا، وقرارنا اتخذناه قبل وصولكم إلينا، ولا نخجل أن نصدره للرأي العام، لكننا في غيبوبة عن الأحداث داخل السجون وخارجها. ونريد أن تضعونا في صورة الأحداث، فتحدث الشيخ حسن، رضي الله عنه، وأفاض في الحديث عن خارج السجن وحركة التضامن، والانتفاضة التي يعيشها الشارع الفلسطيني في مدن الضفة، ولقد كان لإضرابكم هذا الفضل في تثوير

الشارع، وكنتم السبب في خروج الشارع على المؤلف، والصفة من شمالها إلى جنوبها يتضامن شارعها مع إضرابكم.

ولقد ضاقت السلطة ذرعاً من حراك الشارع، واعتدت أجهزتها الأمنية على المتضامنين. فكم من اعتداء قامت به هذه الأجهزة ضد المسيرات؟ وعملت على إفشالها؟ حتى بلغت بها الوقاحة أن اعتدت على النساء، وحصل هذا في البيرة والخليل وطولكرم. فقالوا لنا، وهم يُصغون إلى الشيخ بشغف: اعتدوا على أمهاتنا وأخواتنا؟ قلنا لهم: نعم، ولم يتورعوا. ومن ثمّ تحدثت ثانياً عن الأحداث داخل السجون، وعن ظروفها، وأن حركة التضامن الآن معلقة، لارتباطها بالذي يجري في الخارج، وفي الذي كتبت سابقاً يعني عن الإعادة. وأخيراً قال لنا الإخوة جميعاً وعلى رأسهم أعضاء اللجنة: إنهم للأوضاع التي في الخارج، اتخذوا قرارهم بتعليق الإضراب، وكتبوا في ذلك لوزير الأسرى، وللإعلام، ولمن يعنيه الأمر، وإن قرارهم كان مكتوباً قبل وصولنا إليهم، وطلبوا منا أن نطمئن الجميع، وعلى الخصوص الأهالي، والأسر، والعائلات.

ودّعناهم بحرارة الانتظار، وقد أخذنا على الدكتور بيظون عهداً، أن يعودوا إلينا من حيث خرجوا إن شاء الله، وقد كان هو في استقبالنا ومعه طاقم من مصلحة السجون، وتحدثنا مع قيادة الإضراب بمنأى عن حضورهم، وأن تُحفظ حقوق الإخوة. فوعد بذلك، وانتهت صفحة الإضراب والحمد لله رب العالمين، والمهم استخلاص العبر.

مدرستان في السجن:

هناك داخل الحركة الأسيرة مدرستان، لكل واحدة منها عيشها الخاص بها، فالأولى مدرسة السجون المركزية التي يعيش في بطن حوتها إخواننا من ذوي الأحكام العالية، وعلى الخصوص المؤبدات وما حولها. والثانية مدرسة المعتقلات، التي اختفت أخيراً، وعاشت طويلاً تحت مسؤولية الجيش، ثمّ انتقلت فيما بعد صلاحياتها إلى مصلحة السجون. وكان من أهم المعتقلات ثلاث هي "النقب" و"عوفر" و"مجدو". وبدخول مصلحة السجون على خطها انتهى عهد الخيام بسجون مبنية على طراز بقية السجون، حيث كان معظم روادها من الإداريين وذوي الأحكام الخفيفة.

ولهذا كان لكلا المدرستين تفكيرهما الخاص بهما، فالمدرسة الأولى مغلقة، وكانت في القديم تستقبل ولا تودع، ولها ظروفها الخاصة، وعيشها الذي يخضع لمزاج الأحكام

العالية. وهمها على الدوام الاستقرار في العيش، والاستفادة من الوقت من خلال المطالعة وطلب العلم والدراسة في الجامعات المفتوحة. والكثير منهم استفاد واستثمر وقته في الحصول على الشهادات الجامعية العليا. وبلا أدنى شك أن مستوى هذه الأحكام يتطلب هذه الظروف؛ لأنها لا تستطيع العيش طويلاً وأعصابها مشدودة فتنهك، ومستفزة فتخرج عن سيطرتها، أو أن تستنزف الفوضى حياتهم، أو أن يحكم التوتر أسلوب عيشهم.

وأما الثانية: فهي حياة الخيام والساحات المفتوحة، والعيش مع النجوم من خلال الليل، ولهم مع القمر حكايات وأحاديث، وربما المناغاة مع الأهل والعيال من خلال الهواتف الخلوية كذلك. فالقمر يجمع بين الأرواح المحرومة والمتباعدة. هذا في الليل، فكيف بالنهار الذي هو حقل الإنسان الخصب حتى داخل السجن؟ والذي جعله الله للناس نشوراً؟ ولقد عاشت المعتقلات في سعة من العيش. في الوقت الذي حُرمت منها السجون المركزية، حتى بلغ الأمر بها أن أصبحت التجارة في الهواتف الخلوية رائجة ومربحة. والمواد الغذائية والفواكه كانت تدخل عليها بالشاحنات من الجمعيات الخيرية. وفي الأعياد كانت لحوم الأضاحي من الضأن والإبل لها حظ وافر في الحصول عليها، وحتى اللبن السوري "الكشك" دخل على المعتقلات هدية مقدمة من الحركة الإسلامية في الداخل الفلسطيني إلى معتقل النقب الصحراوي. ولقد حدثني الأخ أبو عاصف (عمر البرغوثي) أنه وصل إلى معتقل مجدو سنة 2001، بعد عيد الأضحى بيومين، وإذا باللحوم من الأضاحي مكدسة في الثلاجات، فسألت: من أين هذه الكمية؟ قالوا: إن الحركة الإسلامية في أم الفحم تبرعت بـ 3,750 كغ، بمناسبة حلول عيد الأضحى المبارك.

هذا العيش مرَّ على المعتقلات في يوم من الأيام، بينما الحال في السجون المركزية لم تحظ بالقليل القليل من هذه السعة. بل على العكس من ذلك، فقد خاضت إضرابات عن الطعام كانت طاحنة في معاناتها، وأطنان من لحوم البشر استهلكتها معارك الأمعاء الخاوية. كل ذلك لتحسين الأوضاع المعيشية التي كانت بالكاد وبالقطارة في أيامها الأولى، وسقط شهداء من الحركة الأسيرة لأجل ذلك ولأكثر من خمسة وأربعين سنة خَلَّت، ولما تنتهي المعاناة.

وكان آخر الإضرابات لها سنة 2012، والذي امتدت أيام معاناته لثلاثين يوماً انتصرت فيه الحركة الأسيرة انتصاراً باهراً، وحققت إنجازاً عظيماً، أعادت من خلاله

الاعتبار إلى جموع الأسرى بعد كبوتهم في إضراب 2004. بينما المعتقلات ولظروفها في الأحكام الخفيفة والقصيرة في أمدها، ولأن أغلب معتقليها من الإداريين لم تعيش حالة الإضرابات عن الطعام على مدى هذه السنين، ولم يساورهم القلق إلا بعد أربعين سنة، ويوم أن شعرت بالضيق في عيشها، وحوصرت في حركتها، ويوم أن فقدت كثيراً من الامتيازات التي حظيت بها أيام الجيش، وتبدلت الحياة من سعة الخيام إلى ضيق الحجرات كباقي السجون.

عندها شعرت بالمعاناة يطوقها حبلها من أطرافها، وضاق حال الاتصالات، وقلَّ عدد الهواتف الخلوية، من هاتف لكل واحد أو خمسة على الأكثر، إلى واحد أو اثنين لكل قسم، هنا في "عوفر" وهناك في "النقب"، أما "مجدو" فالمحلُّ والقحط هما سيدا الموقف على هذا الصعيد. وانتهت الأيام الخوالي من حياته. فأين ما كان مما هو حاصل الآن؟ وهناك الكثير الذي في الحديث عنه إحراج كثير. وما أتى هذا الحرمان إلا بعد كفران بالنعمة، فقد عشت لأشهر في "مجدو" يوم أن كان معتقلاً وتحت سيطرة الجيش، ورأيت بأمر عيني كيف يرهق الأسرى أهاليهم؟ فقلت: لن تطول هذه الأيام بسعتها على الناس.

"قرامي" التنظيم ودوارة السجن:

أه يا ساحة السجن، بين حين وآخر تستقبل قادمين جدد، فلا يمر يوم بلا قادم جديد، أما أن تودع فقليل. وفي السجن معادلات مطلوب منك أن تكون الأقوى فيها، لأن منطق القوة الباغية لا يضبطه إلا قوة الاحترام والمنطق، وحالة الضعف لا تفرض احتراماً. وعلى هذا ففي ساحتنا "قرامي" تنظيمية تحافظ على قواعد العمل التنظيمي، ولها جذور عميقة تدلل على صلابتها، ومعروفة بين المعتقلين وعند إدارة السجن، ومهمتها أن تستوعب الأنواع جميعاً، وأن تضبط السلوك العام، وتحافظ على الاستقرار، فوجود المعتقلين الإداريين بخبرتهم وتجربتهم يوحى بالاستقرار ويدفع على الانضباط.

ووسط هذه الحالة تتعمد إدارة السجن أن تعكر المزاج العام وأن تستفزنا، فتقوم بنقل من لهم احترامهم وحضورهم القيادي. ومع ثقتنا أن هذا النقل لن ينال من نسيج القاعدة التنظيمية الصلبة، غير أنه عزيزٌ على العاطفة التي بيننا أن يفارقنا الشيخ صالح العطية إلى "مجدو"، أو الابن البار محمد ناجي صبحة كذلك، فنبذل جهدنا حتى نحول بين هذا النقل. ومع هذا، فإن حركة السجون فيها عوضٌ لنا عمّا فات، فرحيل محمد

صباحة عوضنا الله بالأخ الحبيب معتصم سمارة؛ ورحيل شيخنا أبو محمود [صالح العطية] عوضنا بالمجاهد باجس نخلة، وغادرنا إلى البيت الحبيب أبو خبيب الدكتور محمد غزال، فعوضنا الله بالحبيب أبي صايل عدنان عصفور.

هذه هي دوارة السجن، حركة عجيبة لا يعرف أبعادها هذا الظالم؛ فمثلاً، أفواج من طلبة الجامعات، هم في حاجة إلى تطعيم تجربتهم، فيتعس الاحتلال، فيعتقلهم ليأخذوا حظهم من مدرسة يوسف عليه السلام. وقد خاطبتهم يوماً على صعيد الجمعة، قائلاً: يا طلبة الجامعات، أنتم ملح البلد، فكيف يصلح الحال إذا الملح فسد، يا طلبة الجامعات، أنتم السياج الأمني لهذه المسيرة، فبوركت سواعدكم. وهم بلا أدنى شك تقرب بهم العيون، ويُسند بهم الظهر، وإنهم صباح الوجوه، قضوا سنين من أعمارهم ما بين الجامعة والسجون من أجل أن تنتصر فكرتهم، ويعلو كعب كتلتهم، ولهم سبق في مقارعة الاحتلال.

أما وزارة الأوقاف في السجن، فالشيخ مشهور أبو الظاهر هو من يتولى تصريفها وإدارة شؤونها، وهو الذي يعتمد الخطباء والمؤذنين وجزاه الله خيراً.

على هائدة الحفيد، اخلفونا في أبنائنا:

وسط هذا العجيج، ومن خلال دائرة الاتصالات يأتيك من الأخبار ما يسرك وما لا يسرك، فمما لا يسر نبأ اعتقال محمد عطون، ابن أخيها النائب أحمد عطون، الذي شغلنا اعتقاله، وشغل والده على الخصوص، ولأنه دون الخامسة عشر من عمره، وتلميذ نجيب، والخوف على مستقبله الدراسي هو أكثر ما يشغل، وما يزال، ونسأل الله له الفرج العاجل. وأما الذي يسرُّ، فإن الله سبحانه، رزقنا بمولود لولدنا مصعب أسماه "محمد"، اللهم صلِّ على سيدنا محمد، وذلك بتاريخ 28 جمادى الأولى 1435 - 29 آذار/ مارس 2014، وفرحت للمولود الجديد باسمه محمداً، حباً في سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وقلت: اللهم اجعله قرّة عين لوالديه، اللهم أنشئه نشأة مباركة، وارزقه رزقاً حسناً، واجعله من الصالحين... اللهم آمين. قلت: فرحوا به وهشوا له وبشوا، وقد جاء لهذه الدنيا يبكي، فدعوت له ولوالديه، ولأخته هاجر.

وعلى شرف هذا المولود أصر أخونا الفاضل أبو صايل إلا أن يجمع إخوانه بعد صلاة الجمعة في حجرتنا على وليمة اسمها عاشوراء، كان ذلك في يوم الجمعة

4 جمادى الثانية 1435-4 نيسان/ أبريل 2014، ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾¹⁶، ذلك أننا كنا نطمع في أبنائنا أن يكونوا خيراً منا، ولكن كيف السبيل وقد حيل بيننا وبين العيش معهم؟ حيل بيننا وبين تربيتهم، وحُرموا وحُرمنا أن تجمعا مائدة طعام، ولو لمرة واحدة. وحتى إذا جمعنا مائدة الطعام فيما بعد، فبعد ما شبوا على الطوق، وبالمناسبات ومع الناس، ولا طعام لذلك، لأن الحرمان أدمى قلوبنا، لقد انتظرنا أن يخلفهم... ويخلفنا فيهم من يرعاهم، ويقولون: هؤلاء أبناء أختينا، وواجبهم علينا. إن الناس لدعونا في أبنائنا، إنهم جلدونا وما رحمونا.

وأقول: إن أبنائنا ليسوا بمارقين، ولا سيئين، إنهم لم يجدوا من يحضنهم، وبالرغم من ذلك، إنهم يحافظون على صلواتهم، ويسعون على أرزاقهم، فإخواننا قبل أن تجلدونا في أبنائنا، لوموا أنفسكم، واحفظوا غيبة أختكم، فأبنائنا إن خرجوا على النص، فبظلم منكم.

وذات مرة كنت بصحبة الشيخ الشهيد صلاح شحادة وبضيافته في حضرة عرس إسلامي في غزة سنة 1986، وإذا بغلام في العاشرة من عمره يهتف من خلال الحفل: "الله غايتنا، والرسول زعيمنا، والقرآن دستورنا، والجهاد سبيلنا...". فقال لي أبو مصطفى، رحمه الله، أتدري ابن من هذا الغلام؟ قلت له: وكيف أدري؟ فقال: هذا ابن أختنا عرب مهرة، أخوهم في المجموعة، والذي ما يزال سجيناً.

إن أبنائنا على احتكاك مباشر مع الاحتلال، ومع المجتمع الصهيوني، وإن الاحتلال فرض عليهم أن يدفعا ضريبة صمودهم. فأهلنا في القدس ومحيطها في حصار، والهوية الزرقاء تجلدهم، وتستنزفهم، والآلاف المؤلفة من أهلنا في القدس لا يجدون فرص العمل إلا عند الصهاينة، وأبنائنا منهم؛ وهذا الاحتكاك بقدر ما هو سلبي — بل ضرره أكثر من نفعه — بقدر ما هو إيجابي.

إن هذا الاحتكاك عرّى النفسية التي يختبئ من ورائها الاحتلال، فبدت الحواجز على حقيقتها، بدت باهتة أمام أبنائنا، فحاجز الخوف الذي اختبأ الاحتلال من ورائه عراه أبنائنا، فلأبنائنا جرأة على المحتل ليست لغيرهم، وما لأهلنا في الداخل الفلسطيني من جرأة على المحتل... ليست لأهلنا في الضفة الغربية، بل إن أبنائنا يعرفون كثيراً من

¹⁶ القرآن الكريم، سورة الكهف، آية 46.

خصوصيات المحتل والمجتمع الاسرائيلي. وبلغني عن ولدي مصعب أن بلغت به الجراءة أن ينزل في عراق حرّ مع جندي حرس حدود إسرائيل، بل إنهم في الشرطة طاردوه حتى أعجزهم وأعياهم.

ولقد سمعت عن ولدي محمود، وهو ما يزال في الصف السادس الابتدائي، أنه بلغ من الجراءة على أبناء جيله وتمرده على المدرسة، أن قال الأستاذ سعيد أبو طير مدير مدرسة أم طوبا الأساسية: إما أنا في هذه المدرسة، وإما محمود الشيخ؛ حيث يُنسب محمود لأبيه في المشيخة. ولقد خشيت عليه، فسألته يوماً: لربما ضحك عليك اليهود، قال: ماذا تعني؟ لكأنك تشك بي؟ قلت: معاذ الله، ولكن مخالطة القوم غير مأمونة، قال: اسمعها مني، هؤلاء لا سلطان لهم إلا على الجبان، فذات مرة استدعاني ضابط المنطقة واسمه نور (الشاباك ينتحل الأسماء العربية غالباً) فقال لي: محمود، ما رأيك تشتغل معي، وأنا أعطيك معاشاً؟ قلت له: كم تدفع لي؟ قال: ألفي شيكل (نحو 446 دولار أمريكي)، قلت له: نور، قال: نعم، قلت له: أنا أعطيك أكثر بشرط أن تعمل معي، فرد عليّ مُستفزاً: محمود، أخرج من هنا، فخرجت وتعبطت باب مكتبه بيدي، وقلت له: نور، وأزيد لك في العطاء، فشتمني، وشتم أبي وتركته.

هذا محمود، ولم يبلغ العشرين من عمره في حينها، ولم يحصل على الثانوية، فأبناؤنا يا قوم لم يخلفنا أحدٌ في تربيتهم، ويريد الناس منهم أن يكونوا نُسخاً كربونية عن آبائهم. أقول هذا، لأن الناس أوجعوننا في ذرارينا ولم يرحموا غربتنا. ولقد سمعت عن أحد الإخوة الأفاضل أنه قال: نجحنا في تربية أجيالٍ من هذا الشعب، ولم ننجح في تربية أبنائنا.

السجن ظلّ ثقيل:

هو السجن ظلّه ثقيل، حتى ممن تعايشهم: وهذا من نكد الدنيا، ظلّ ثقيل على ظلّ ثقيل، والاحتلال هو السبب من وراء هذه الحالة، فالاحتلال والاعتقال كوابيس. ومن ضحايا الاحتلال الرفيق أ. ط. الذي ظلّه أثقل من وزنه، وتعاسة لسانه لا تشفع لحالته المرضية التي توجع القلب، وسببها الاحتلال الذي أطلق على ساقه اليمنى عياراً نارياً عن قرب فعطلها وهتك أعصابها. ذلكم أ. ط. الحمساوي الأصيل، الذي "يقاهره" إخوانه بالرفيق لعلاقته مع شباب الجبهة الشعبية، وهو إلى العامية و"الهمشيرية" أقرب منه إلى المتعلم والاتزان، ولكنه مع عدوه صدامي من الدرجة الأولى ومبادر.

لقد روضني الصبر في السجن، ولقد جاهدت نفسي جهاداً مُراً، وأخذتها ما استطعت إلى جنب الله حتى أجنبها الهلاك. والنفس بين ما تتمنى فيراودها الشيطان ولا يغلبه على سلطانه إلا الخوف من الله، وبين ما تتسامى فيحجزها الورع من أن تتردى. نعم، إنها النفسُ الشמוש، ولا يلجمها إلا الخوف من الله، وإن أخطر أمراضها هو التردد والتميع، وإنها الحالة التي يتمناها الشيطان، وإنها فرصته التي يجدها في ضعف الإنسان، حتى قيل: "عقل الكسلان بيت الشيطان".

إنَّ السجن ميدان لمجاهدة النفس، والنفس كالطفل. وإن السجن مشاكلك كثيرة، فهو مجتمع مغلق، وساكنوه منهم من يفتعل المشاكل، ومنهم من هو عين عليك تحوم من حوله الشبهات، ورضي لنفسه أن يخون العشرة، وأن يعقّ الوطنية، وأن يكون عميلاً مزدوجاً للسلطة والاحتلال. فأى شيء أتقلُّ ظلاً من هذه الظاهرة.

إنه السجن ميدان لهموم النفس، وإن همومنا في السجن هممٌ عاليةٌ تأخذُ بعداً ثانياً في الحرب مع الشيطان، ومع المحتل الذي هو على دين الشيطان. ففي السجن فرصة للتأثر والانتقام من سطوة الشيطان، وتحجيم الحالات المرضية التي يستثمرها. فميدانها هنا أقوى من الخارج، وشحنةُ الثأر تأخذ مفعولها داخل السجن بالتعبئة ضدَّ المحتل أكثر من الخارج، لأن الظلم واقع بلا مبرر، والشعور به يحرك كوامن النفس، ويلهب فيها الغضب، وإنه من زمن بعيد، وأنا أتلمظ ليوم الثأر. حتى وإن كان لي نصيب في مناوشته عن قرب، وبلغ مني أني لذعته في أكثر من موقع وفي قلبه لهذا المحتل، وأوجعته لأكثر من مرة. لكن لي ثأر على الأيام التي قضيتها في السجن، وأريد لساعدي، وبدم قلبي، أن يحظى بثأره، فما تمنيت لقاء العدو يوماً، ولكن ما ترددت في حربه لحظة واحدة، حتى قلت: والله ما ندمت يوماً على لحظة في حياتي، إلا على لحظة لم أقاتل فيها عدو الله. وإن سيد قطب، رحمه الله، كان يقول: إن إصبع السبابة التي تشهد الله بالوحدانية في كل صلاة... لن تكتب حرفاً تقرُّ به حكم طاغية، وإنني من بعده أقولها: إن إصبعي هذه التي تشهد الله بالوحدانية في كل صلاة: لن تتراخي عن الزناد في حربها مع هذا المحتل، حتى يأخذ الله أمانته، وحتى يبلغ الكتاب أجله، وحتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

في السجن لنا سلوى، ومع الظلال مرة أخرى؛ هو مرجعيتي في صقل شخصيتي، وبناء نفسياتي، وهو المرجعية في تربية النخبة داخل سجون الاحتلال، بل إن سيد في كلماته، وكتابات، لكنه يُطل علينا من علياء الخلود، ولا أراه إلا مبتسماً. فرحم الله

سيد، فكما قرأت الظلال، أو حفظت نصاً مما كتب، استشعرت بعملته، واستشعرت باستعلاء على هذه الجاهلية التي تموج في الأرض، وهو ينظر إليها من علٍ: ”إن الداعية المسلم ينظر إلى غالبه من علٍ ما دام مؤمناً، ويستيقن أنها فترة وتمضي، وأن للإيمان كرة لا مفر منها، إن الناس كلهم يموتون، أما هو فيستشهد، وشتان، وشتان!! وهو يسمع نداء ربه: ﴿لَا يَعْزُرَكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾ (١٦٦) مَنَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَاوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾¹⁷.

إنه سيد، وإنه قطب، وإنه صاحب الباع الطويل في تعرية الجاهلية، واستعلى على اهتماماتها، وعاش لفكرته واستشهد من أجلها، وفي سبيل الله، وإنه الذي أبت عليه نفسه أن يعطي الدنيا في دينه. وأقول: إن سيد الذي نقلني، ونقل غيري بما وقع على ما كتب من دمه. لقد نقلني من السفوح الهابطة إلى القمة السامقة. وإن قراءتي لظلال سورة الأنعام، جعلتني أدرك. ولو القليل. من الذي وصل إليه سيد رضي الله عنه. وإنني أتذكر الآيات التي تلوتها على طلبة المدرسة وأنا غلام، أو أقرب إلى الفتوة يوم استشهاده بالضبط... من سورة الأنعام، وقد قدمني لتلاوتها الأستاذ الفاضل عواد أبو قلبين: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾¹⁸. إن اختياري لهذه الآيات في حينها، كأنه يقول لي قبل ست وأربعين سنة هذا هو الطريق ﴿مَلَّةً أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾¹⁹، ولقد أراد الله لي من الخير الكثير ولم يكن في الحسبان. فالحمد لله على نعمة الإسلام، وعلى ما في الظلال من ندى، وإنها لندية لمن أراد الله له أن يتفياً من حرّ الهجير في ظلالها، وحتى لا يتنكب الطريق الذي لا دليل فيه، إنه الظلال أعشقه، ولا أعرف الملل من قراءته.

ومن خلال هذه ”الحبسة“ وجدت الرضى بطعمه غير المعهود، استوت عندي الأمور تماماً، العدا على طبيعته يعمل، لا يفوته شيء، فماذا يفعل بي أعدائي؟ والله ما زادني السنون إلا شباباً، ولا زادني الخطوب إلا إصراراً، وما زادني السجن إلا تحدياً وثباتاً. فيا دولة الاحتلال، موتوا بغیظكم، فلن تدور الدائرة إلا عليكم، ولن نقبل حتى تغوروا، فنحن على موعدٍ مع الصبح... أليس الصبح بقريب؟

¹⁷ القرآن الكريم، سورة آل عمران، آية 196-197.

¹⁸ القرآن الكريم، سورة الانعام، آية 75.

¹⁹ القرآن الكريم، سورة الحج، آية 78.

على كل حال، لقد أدركت تماماً ما الذي يعنيه الإمام ابن تيمية، رحمه الله، عندما قال: ما يفعل بي أعدائي؟ إن قتلوني فقتلي شهادة، وإن سجنوني فسجني خلوة، وإن نفوني فنفيي سياحة. فلقد اجتمعت علينا اثنتان لا تقل الواحدة عن الأخرى، فهذه أخت هذه، بل الإخراج من الديار لا يقل عن القتل، وهو على النفس أقسى من السجن والقتل، فالسجن له نهاية، ونهايته إلى البيت، أما الطرد فكما قال الشاعر:

لقتلٌ بحد السيف أهون موقِعاً على النفس من قتل بحد فراق

وقيل لبعض الحكماء: ما أشد من القتل؟ قال: الذي يتمنى فيه الموت، فالطرد من الأوطان من المحن التي يتمنى عند الموت، ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا﴾²⁰. لقد طردنا الصهاينة من ديارنا، وألقوا بنا في غياهب السجون، وبقي الثالثة بإحدى الحسينيين، إن شاء الله، إما النصر وإما الشهادة.

سأمضي وما بالموت عارٌ على الفتى إذا ما نوى خيراً وجاهد مسلماً
وواسى رجالاً صالحين بنفسه وخالف مثبوراً وفارق مجرماً
فإن عشت لم أندم، وإن مت لم ألم كفى بك ذلاً أن تعيش وترغماً

كنا نعظ الناس من خلال الأحداث، ونطمع أن يكون ثمة صدىً لكلماتنا في نفوسهم، ولكن هيهات للموعظة أن تأخذ سبيلها في النفوس ما لم يكن لها رصيد في النفس، وما لم يكن ظاهرها كباطنها في القوة والصدق، فإن قوتها من صدقها. فالرضى عنوان لقوة النفس وصدق الكلمة، والهدوء النفسي من الرضى، والرضى على تمامه كالدائرة الكهربائية عندما تكتمل. ويكفيني من رضى هذه الجولة أن حظي للقرآن عادت له حيويته وانطلاقته، ومن فضل الله عليّ، أن هيهات!! لذاكرتي أن تجاري لساني في السرعة. والحمد لله، عدت للظلال مرة أخرى، أعيشت تجربة المحنة من خلال التوقيعات التي أراها شاهدة على هذه المرحلة التي أحاطت بإخواننا في مصر، وهم أبناء هذه المدرسة. ولقد حلقت بي هذه "الحبسة" عن سابقاتها حتى تمنيت على الله أن أسجد لله سجدة لا أرفع منها رأسي حتى يبقى لروحي أشواقها، وتبقى على حررتها في السجدة، ولتستريح من أوهاق الأرض، وبين ساعة وساعة يدور الحديث بين إخوان الأسرة، ممزوجاً بالمزاح الذي لا غنى عنه، وخاصة الشباب منهم الذين يعيشون "فيعة" الشباب.

²⁰ القرآن الكريم، سورة النساء، آية 66.

فالسجن أقسام، والقسم حجرات، وكل حجرة عدد أفرادها عشرة، وتتفاوت فيما بينها بالواجبات، والنظافة الحاضر القوي والشعار الذي لا بديل عنه. والحرص على ذلك بالغ الأهمية، وقد غزانا البق عن طريق ”البوسطات“، أو السفريات القادمة من السجون الأخرى، والحمد لله، أنه حيل بيني وبينه، فدمي مرُّ عليه، وقلما أراه، بينما بعض الأخوة في حرب مفتوحة معه، ورحم الله أستاذنا أبا سليمان حسن القيق، كان على حرب معه، يوم أن كنا في سجن عسقلان، ولقد نجحنا في القضاء عليه بعد أن ”بيضنا“ حجراتنا. وبروح العائلة تتعالى التعليقات بين أفراد هذه الأسرة، فمنهم من يقول لي: أيها الشيخ، لا تخيب ظنك فينا، فنحن والله عبّاد، نقوم الليل، ونصوم رمضان، ونصوم يوم عرفة، ولا نزيد، فقلت: يا سبحان الله!! ربع ساعة من الليل قبل أذان الفجر تعدونه قياماً.

يا أحببنا، إنه لا يقوم الليل إلا من كانت سجدة نصف ”طن“!! وحتى لا أظلمهم، فإن منهم من يقوم لأكثر من هذا، ولا أقل من نصف ساعة، ومنهم من يزيد، ومنهم من يحافظ على صيام الإثنين والخميس، والكثير يصوم في ساحتنا، والشعار: ”وَأَنْ تُفَطَّرَ صَائِماً“ حاضرة بقوة وعلى حبات من التمر، فالحمد لله. التربية لا يعجبها القليل، بل إنه الكمال، ولا بديل عن الكمال، فهل هناك أروع من البدر على تمامه؟ إنك تُسبِّحُ الله، وبلا تخطيط، وتستشعر بالراحة، وتردد ما علمك نبيك ﷺ مخاطباً القمر: ”اللَّهُمَّ أَهْلُهُ عَلَيْنَا بِالْأَمْنِ وَالْإِيْمَانِ، وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ، هِلَالٌ رُشِدٍ وَخَيْرٌ“²¹، اللهم آمين.

ومنهم من قال لي، وهو يشير إلى من في الساحة من الناس: كأنك نافضٌ يديك من هؤلاء؟ قلت له: معاذ الله، لو لم يكن فيهم خيرٌ، لما وصلوا إلى هنا. وذلك لأن شريحة منهم دخلوا السجون وهم أقرب إلى العامية، والمواجهات مع المحتل طبعت كثيراً منهم على التمرد، وفي مثل هذه الحالة الشارع في غياب عن المسجد لا يربي، بل لا بد من الخشونة ومُعاوَدَةُ الطَّرُق. إن هذه لفتة من الحبيب ماهر شريتج، وأذكر في هذا المقام أن الشيخ أحمد ياسين، رحمه الله، قال لأحد مرافقيه داخل السجن، تقول إنك حماس، ولسان الحال يقول: إنك لا تقوم الليل، ولا تتطوع ليومي الإثنين والخميس صياماً، وتدعي أنك حماس، وزيادة على ذلك أنك تدخن. فقلت لأبنائي الذي ”يُفَيِّعُونَهَا“ فيما بينهم بالتعليقات: من مصعب غيطان خريج جامعة بيرزيت، إلى الفتى الذي أحبه كثيراً سيف الإسلام دغلس الطالب

²¹ رواه الترمذي.

في قسم الهندسة جامعة بيرزيت، إلى يحيى جادو ”ريحة الغوالي“، وابن أخت للشهيد القسامي القائد عمر سعادة، رحمه الله، قلت لهم مداعباً وقد طال سهرهم، منْ حوالكم تأتي الهزيمة. وأقر وأعترف منْ خلال هذه المماوحة، وعلى صعيد خطبة الجمعة، أني كثيراً ما كان لكلامي خشونة، حتى إن الشيخ الفاضل جمال الطويل خطبنا يوماً فقال: لا تهربوا منْ خشونة شيخنا أبي مصعب، فالإمام الجيلاني كان يخاطب تلامذته فيقول لهم: لا تهربوا منْ خشونة كلامي، فوالله ما رباني إلا الخشونة.

ومن نكد الدنيا والسجن، أنْ تُبتلى بالفضائيات السابق ذكرها مرة أخرى، فبعدها كشرت المحنة عن أنيابها، وألقى الظلم بكله والافتراء على صدور إخواننا في مصر، تخرج علينا ”العربية“ بافتراءاتها، وهي ترفع شعار: العربية أنْ تعرف أكثر، والحقيقة: العربية أنْ تكذب أكثر، وأنْ تفتري أكثر. ووسط هذه الأجواء يقيمون الدنيا ولا يقعدونها بافتراءاتهم على أردوغان، فبعد النجاح الكاسح للعدالة والتنمية والـ *The Justice and Development Party (Adalet ve Kalkınma Partisi (AKP))*، وبعدهما أسقط في أيديهم، فالمدعيون لا يعطون الفرصة لمن يحاوروه، وإنْ كان يحالفهم، بل يعملون جاهدين أن يلقموه بما تهوى أنفسهم، ووسط هذه الأجواء كان يشدني الوليد الأعظمي، رحمه الله، بأبيات من شعره:

فيكيف يرتاح للبلوى أخو شمم
وعينه تبصر الأوباش ييغونا؟
وكيف يسكت ذو حق وقد عبثت
بحقه عصبه تقفوا الشياطينا؟

وعندما يرتفع المزاج، يأتيك الوليد بندااء لهذه الدنيا:

يا هذه الدنيا أصيخي واسمعي
إنا بغير محمدٍ لا نقتدي

لحظات غالية:

ومنْ اللحظات الغالية في السجن، أن جاء اليوم الذي غادرنا فيه الأخوان الحبيبان أبو عماد سيف الإسلام دغلس، وأبو قتادة الدكتور فادي عصيدة، بعدما أنهيا محكومتهما. وعلى شرف هذا الإفراج احتفل قسمنا بلقاء جامع لوداع الأخوين الكريمين، ووُزع ما تيسر منْ الحلوى والشراب، كان ذلك في 13/ جمادى الآخرة/1435، الموافق 2014/4/13، والحمد لله رب العالمين.

و ذات ليلة وعلى وضوحٍ من رؤيا رأيتها في المنام، استيقظت لوردي من الليل، وهي أني خيرٌ بالصلاة على النبي، كنت أقطع أرضاً لجيران لنا على قربٍ من بيتنا، في بقية من أواخر القثاء، وعهدي بالأرض أنها مزروعة بالشجرة المباركة وما تزال. ومما رأيت مجلةً عبرية يتصدر صفحتها الأولى كلمة عبرية بالـ ”بونط العريض“ وهي ”عتسوف“ مشطوبة بخطين متوازيين... رأيتها وبالتفاتة مني للوراء، وإذا بالسيد الوالد، عليه رحمة الله، يمشي في الشارع على قربٍ من بيتنا، فلوحت له بيدي، ومضيت في السير حتى انتهيت من أرض الجيران إلى الشارع العام، لكن تفاجأت بالشارع على غير عهده، وإذا به طريق ضيقٌ على الجانب الأيمن منه صخور حادة ببروزها كالأخاديد لا يستطيعها المارة. فبقدره الله دفعتها بيمينني على الرغم من حداثتها، وأزحتها من مكانها ووسعت الطريق، وإذا بي على مفترق طرق لشارع عام. فوجدت كما بدا لي في المنام رسول الله ﷺ جالساً وجهه لوجهي، والذي أذكره أني قلت له: جئتكم مبيعاً، فتوجه بجلسته إلى القبلة ورفع يديه إلى السماء في دعاء.

بعدما توضأت من الليل للصلاة، واستيقظ الأخوان أبو مجاهد عطون، وأبو إبراهيم سامي حسين، الذي هو ضليع في اللغة العبرية، سألته عن كلمة ”عتسوف“ فقال: تعني الحزن، وبما أنها مشطوبة، قلت: لا حزن بعد اليوم إن شاء الله. واستبشرت خيراً، وشعرت بالرضى، وقلت: وقد خلوت بنفسي، ما يفعل بي أعدائي، وأنا في هذه الحالة من الرضى؟ ولا أدري ماذا تعني بقتائها في أواخره، لكن العجب في يدي اليمنى بقوتها، بعد قوة الله، كيف دفعت بالشفرات الحادة من الحديد دون أن تتأذى. والمفاجأة الواضحة التي لا تحتاج إلى تأويل رؤيا الرسول ﷺ وقولي له جئتكم مبيعاً.

ذكريات رمضان:

دخلت إلى السجن هذه المرة قبل حلول شهر رمضان بثمانية أيام، في الثاني والعشرين من شعبان لعام 1434هـ، ودخل علينا رمضان هذه المرة لعام 1435هـ، الموافق 29 حزيران/ يونيو 2014، وقد مضى عليّ سنة في الاعتقال الإداري، الذي جدد للمرة الثالثة.

رمضان بمجيئه يخفف عنّا، وينقلنا بعيداً عن اهتمامات الدنيا، رمضان بإقباله علينا شهرُ الفرص، وصيامه رياضة نفسية وروحية وجسدية، والأهم من ذلك أنه

استجابة من المؤمنين لنداء الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾²². والمؤمن يطرب قلبه لما لهذه الفريضة من شفافية، وتسكن جوارحه إجلالاً لرمضان، فهي فرصته من كل عام ليناجي ربه بقلبه. وهو مفعمٌ بجلال هذه العبادة، ويناغي بروحه حبيبه الذي ملأ عليه جوانحه، وتستجيب لذلك جوارحه. وقد جمعنا الغرفة بالأحبة من المجاهدين النائب أحمد عطون، والأخ سامي حسين، والوزير السابق للقدس خالد أبو عرفة، ويحيى جادو، وماجد ربايعه، ومصعب غيطان، الذي جمعني به رمضان للمرة الثانية في هذه الغرفة، وعبد الرحمن سرور، وأخوه أحمد، وأسيد الأجر.

دخل علينا رمضان برحلة العمر، وبدأت رحلتنا مع قيام ليله وصيام نهاره، وحظي دائماً في الإمامة أنها قدرتي على غير رغبة مني ببركة حفظي للقرآن، وبحب إخواني لي، ورضاهم عني. فبدأت قيامه بسورة البقرة لليلتين، وآل عمران حتى بداية الجزء الخامس في ليلتين لأختم في ليلة السابع والعشرين من رمضان التي توافق ليلة القدر، كما تعودت على لك.

تحقيق جديد في ظل معارك ”العصف المأكول“:

وهكذا عشنا مع رمضان، ومن كل ليلة يتخلل القيام مواعظ يلقها علينا الإخوة أبو مجاهد، وأبو محمد، وأبو إبراهيم، وأبو بسملة، إلى يوم الأربعاء العاشر من رمضان الموافق 9 تموز/ يوليو، وإذا بالأخ أبو إبراهيم [سامي حسين] يقطع رحلته معنا، ليعيش بقيتها مع يوم العيد في زنازين المسكوبية للتحقيق معه حول خلايا عسكرية، ونشاطات تنظيمية، سلمه الله في النهاية من مكرهم. وكنت أذكر أبا إبراهيم، بحظه الوافر من الأجر والثواب لعظمة هذه المحنة، وقد أتى عليه العيد، وهو هناك في زنازين المسكوبية. وما كنت أدري أن القدر يخبي لي أنني سأكون مع يوم العيد هناك، وبعد أن أحيينا العشر الأواخر من رمضان، وختمنا القرآن ليلة القدر طمعاً في رحمة الله، واستجابة لسنة نبيه ﷺ وبعدها بليلتين، وفي قيلولة يوم الأحد 29 رمضان، وإذا بالأخ المجاهد فضل عرابي يوقظني من نومي، ويقول لي: البس ثياب الشاباص²³، بطلب من إدارة السجن،

²² القرآن الكريم، سورة البقرة، آية 183.

²³ الشاباص: سلطة إدارة السجن، وهي تابعة لوزارة الأمن الداخلي الإسرائيلية.

فقلت له: إنه التحقيق وإنها "المسكوبية"، حيث سبق أن استدعيت مجموعة للتحقيق هناك ولحقنا منها "طراطيش" واعترافات، ضَعُف صاحبها، ولا تستحق أن تذكر.

فلولا ضعف حصل، وخَوْر تغلَّف بالكذب لما حصل ما حصل. كان ذلك في التاسع والعشرين من رمضان، حيث حملتني "البوسطة" الانفرادية إلى سجن الرملة، وهناك أفطرنا من الصيام لنستقبل العيد في صبيحة اليوم التالي، وليكون عيدنا في زنازين المسكوبية، بعد ليلة قضيتها في "الرملة"، ضاقت روحي من رطوبة المكان وحرارة الجو، ومن فوضى المسافرين الذين لا ينتهي إزعاجهم ولا ينقطع صراخهم.

في الصباح، وبعد صلاة الصبح، وقبل صلاة العيد حملتني بوسطة خصوصية إلى القدس، حيث المسكوبية بزنازينها المقرفة، ورطوبتها التي أكل عليها الدهر طويلاً. وصلتها وقد انتهى الناس في الخارج من صلاة العيد، وعَيَّد الناس ليوم الفطر، وعيدته وإخواني المغلوبين في أقبية التحقيق. وفي أول مواجهة مع الشاباك بعد انقطاع طويل منذ سنة 1998، حيث كان الجو استفزازياً في البداية ولأيام، وقد علا الصوت بيني وبينهم، رداً على استفزازات الطاقم الذي يتولى التحقيق، واتهامي بالكذب والمرواغة. ولا شك أنك تخوض حرباً، هي أشد وأقسى من حرب الميدان، فأنت لا تملك إلا نفسية المؤمن التي هي أقوى من سطوتهم، وأقوى من شيطنتهم، وأنت مدافع من الطراز الأول، وكل ما فيك مستنفر، والاتهامات تحيط بك من كل جانب، والمعلومات عندهم وفي ظنهم لا يرقى إليها شك، من خلال اعترافات بليغة نتجت عن ضعف أحد أعضاء هذه المجموعة. في البداية يريدون كل شيء، وأنت الكل في الكل، وفي النهاية يضعون الكلمات في فمك، ويحضرون اتهاماتهم في نقاط.

قالوا لي: أنت دخلت المحذور، وأنت تريد بيتاً لتستعمله في أغراض أمنية، ومقرأ للاختباء والاختفاء، فأنكرت ذلك، لأنني سألت كثيراً عن بيت أريده لاستقبال أهلي وبناتي وأبنائي وضيوفي من القدس، ولأن بيتنا في كفر عقب لا يحتمل ذلك. وقالوا: أنت تقود مشروعاً عسكرياً مع الأخوين إسماعيل الزير وصالح الهريمي، فأنكرت ذلك، وهذا الإنكار ليس بعدد الكلمات، وإنما بعدد الأيام، ولأول مرة ارتفع ضغطي 97/150، وما عرفت هذه الحالة من قبل. وقلت لهم: اذهبوا بي إلى حيث تريدون، حتى ولو كان تحقيقاً عسكرياً — وقد مرت عليّ تجربته وعشتها سنة 1998 — واتوا بمن تريدون، فليس عندي نوايا لهذا الأمر، وقد تجاوزته منذ زمن. فقالوا لي: يعني أن فلاناً كذاب، قلت:

لا يعينيني هذا. قالوا لي: فإذا أنت كذاب؟ قلت له لست بالكذاب. واحتد الموقف وتشنج، وقد وجدتهم جميعاً حُبالي عليّ، ويتحينون فرصة للإيقاع بي. وقال لي أحدهم واسمه رامي، سبق له أن حقق معي في سنتي 1992 و1998 في "الخليل" و"المسكوبية"، قال لي، بعد أن أتى بدفتر وألصق به جواله، وببيده عود لتنظيف الأسنان: أنت هنا تماماً بين الدفتر الذي هو العمل العسكري، وبين الجوال الذي هو العمل السياسي، فأنت قريب جداً لهذا وهذا، ولا تستطيع الاستغناء عن أحدهما، وقال لي أحدهم، وقد يئس: اذهب واستخر، أي صل صلاة الاستخارة. فضحكت وضحك، وقلت له: من أين لك هذه الثقافة؟ فهزّ رأسه وتركني بلا جواب. وأحدهم قال لي لما سألتني عن اللبّن السوري: أنه يعرفه، وأنه أكل منسف عربي في الأردن، وهذا لا يكون إلا ضمن "مهمة تربوية"، حتى أنه لما خرج من عندنا، وأنا جالس مع محقق آخر قال: ادعوا لي.

دخل المحقق رامي على التحقيق وله سابقة معي، ولطف الجوب بعد أن سادته التشنج، وقد أتوا على بقية الاتهامات، منها ماهية العلاقة بيني وبين موسى الخطيب، وعمران مظلوم، وكذلك العلاقة التي بيني وبين الأخ سامي حسين؟ وقد اعترف عليه من أتى من عنده الضعف والخلل أن أبا إبراهيم صاحب سري، وموضع ثقتي. وسألوني عن طلبي لإبرة بندقية أم 16 من الأخ سامي حسين، فأنكرت ذلك، وعلاقتي مع الأخ سامي أخوية واجتماعية لا غير.

وجمعوني برياض ناصر، والأخوين ذياب كراجة، والدكتور صالح بركات، الذي لم يسبق لي أن عرفته من قبل، فاستغرب المحقق بأني لا أعرف الدكتور صالح، فأكد الدكتور صالح ذلك، وأنه يعرفني لشهرتي، وكان ذلك في محاولة منهم لإقناعي بالاعتراف. وكان لي جلسة ثانية انتهت بعدم الاعتراف، ثم أخذوا بي إلى شاب من القدس أعرفه قديماً من الجهاد الإسلامي، وهو الأخ محمد عوض، الذي طلب من الميجر أن يجمعني به ليراني ويقبل يدي، فقلت له بعد أن جمعني به: لا أقبل من أحد أن يقبل يدي، ولكنني عانقته، وهو مشبوح وبكى لحرارة اللقاء، فقلت له: اصبر فأنت قوي، والأمر لا يستحق أن تتأثر، وهو اليوم من إخواننا في حماس.

وسألوني عن علاقتي مع الشيخ رائد صلاح، الذي ورد اسمه على هامش التحقيق، بأني طلبت منه أن يخرج بالحركة الإسلامية إلى ميدان المواجهة العسكرية ضدّ دولة الاحتلال، وهذا لم يحصل أبداً. فقلت لهم: حركة الشيخ رائد قانونية، وأنتم تعملون ليل

نهار على إخراجها عن القانون، فالشيخ رائد ليس بالغبى حتى يعطيكم هذه الفرصة، ويخرج بحركته عن القانون، والشيخ رائد كذلك كان يتجنب اللقاء معنا، بل ويتخوف من ذلك. ومن التسريبات التي لا داعي لذكرها في التحقيق قال لي المحققون: أن عندي مصدر تسليح داخل الأراضي المحتلة سنة 1948.

انتهى التحقيق وكان أكثر ما يشغلني الحرب على غزة، فلا أخبار إلى أن جاءني الأستاذ فراس صباح، وسألني عن أحوالي وعن ظروف التحقيق، فقلت له: لا تقلق وأخبرني عن غزة، فألمني حجم التضحيات من قتل في الأهالي، ودمار في الأحياء والبيوت، ولكن هدأ من روعي فعلاً رجالنا في الميدان، فقد تفننوا في القتال، وأذاقوا جنود الاحتلال الموت الزؤام. ولم يُعهد لدولة الاحتلال أن عاشت مثل هذه الحروب، فقد أنزلها الله على يدي عباده، وليس بيننا وبينهم إلا الميدان حتى يرحلوا عن ديارنا.

ولقد تخلل التحقيق أنهم كانوا يتندرون على أبي الوليد خالد مشعل، ومن ذلك أنه يعيش حياة القصور في قطر، فقلت لهم: رجل طردتموه من وطنه، ويعيش مهاجراً ومنافحاً عن قضيته، تستكثرون عليه أن يعيش في قطر التي بيوتها قصور؛ بينما رئيس حكومتكم السابق واللاحق، يعيشون في قصورهم هنا في القدس، وهناك في قيسارية، وفي تل الربيع، وقضايا الفساد التي يعيشها ساستكم، والتحرش بالنساء على مستوى رئيس دولتكم القابع في السجن، وقيادات أخرى أنتم أدرى بها. والذي سمعته عن الرجل، عن أبي الوليد، أنه متواضع في عيشه وفي مسكنه، ولكنه الغيظ أكل قلوبكم.

نحن أهة لا تعرف التقاعد:

وفي محكمة التمديد في المسكوبية، قال الحاكم العسكري لي: أليس في حياتكم تقاعد؟ فتوقفت عن الجواب، وقلت في نفسي: شمعون بيريز في التسعين من عمره، وهو يقوم مقام رئيس لدولتكم، ويقول إن له عمل سيزاوله بعد انتهاء مدة رئاسته للدولة. وكان الشيخ الفاضل حسن يوسف، يا رعا الله، يخطبنا في السجن ويقول: نحن أمة لا تعرف التقاعد. وجمعتنا الزنازين بالأستاذ المحامي محمد مجدي أبو خضير، ابن عم الشهيد محمد أبو خضير، الذي أحرقه الصهاينة وقتلوه بالخناجر. وكذلك الإخوة شريتح، وموسى الخطيب، وباسم شلالدة، الذي هو والأستاذ محمد أبو خضير اعتقلوا على خلفية الأحداث التي تلت استشهاد الفتى محمد أبو خضير، يوم أن انتفضت شعفاط،



وبيت حنينا، والقدس، وخرج شبابنا وأهلونا على دولة الاحتلال، واشتبكوا مع شرطته ومخابراته. وإن دلّ على شيء فإنه يدل على الوطنية الصادقة، وعلى الظلم الواقع على شعبنا في القدس والذي تفجر غضباً على ممارسات الاحتلال.

انتهى التحقيق دون الإجهاز على قناعات المحققين، لأن طبيعة التحقيق لم يغير وجهها الإنكار. لكنني منذ اللحظة الأولى احتسبت نفسي عند الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وأذكر بتاريخ 1 تموز/ يوليو 2014، أن الأخ عبد الله السعافين جاءني صباحاً وقال: جئتكم مودعاً لأن اسمي جاء للنقل إلى "النقب"، واسمح لي أن أقبل رأسك، فكان له ذلك. وقصّ عليّ رؤيا أن الشاباك جدد لي الإداري لستة أشهر أخرى، وأني أقود سيارة في نزول من بيتونيا إلى عين عريك. وفي الطريق وقعت في مطب، فما كان مني إلا أن قلت: حسبنا الله ونعم الوكيل. وهنا انتهى المشهد وسافر عبد الله إلى "النقب"، لكنه تركني في وضع لا أحسد عليه، لأن المطب مصيبة هي في الطريق، ولا يؤول إلا على عدم الارتياح، لكنني ارتحت لختامها بقولي: حسبنا الله ونعم الوكيل، فهذا ذلك من روعي، وقلت هذه تكفيني. والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضَّلِ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿٢٤﴾، والحمد لله رب العالمين.

وفي يوم الخميس 2014/8/7 حملتني "البوسطة" من "المسكوبية" صباحاً إلى محاكم عوفر، وبعد العرض على المحكمة تقرر تمديدي إلى يوم الثلاثاء 12 آب/ أغسطس ليتحول الملف من الإداري إلى قضية وتنزيل لائحة اتهام، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾²⁵. وعدت يومها إلى القسم الذي خرجت منه، واستقبلني إخواني بعاطفتهم الجياشة، وجزاهم الله خيراً، وقد أجهدي ألم الظهر حتى أقعدني، وبقي يعاودني حتى كتابة هذه السطور. وما زال بقية وجع بالرغم من العلاج والماء الساخن وكاسات الهوى؛ التي حرص أخي الحبيب أبو الأمير أنس رصرص أن يعالجني بها. وإن لم تنفع، فلن تضر، وبلا شك النافع هو الله، هذه محنة تحتاج إلى مراجعة ووقفة.

²⁴ القرآن الكريم، سورة آل عمران، آية 173-174.

²⁵ القرآن الكريم، سورة يوسف، آية 21.

فلئن أوتينا من قبل من لم يصبر على المحنة، فالأمة ولود، وصبر لهذه المحنة رجال هم كالجبال. وممن صبر لها شكري الخوaja، ومحمد مصطفى شريطح، وصبر لها محمد جميل كفاية، ومحمد فؤاد العدوين، وصبر لها ذياب كراجة. وآخرون في مواقع أخرى صبروا لهذه المصيبة في الجملة وعسقلان، منهم المجاهدون: نزيه أبو عون، وعبد القاهر سرور، وعبد الكريم أبو رموز، وحمزة أبو عيشة وضرار أبو منشار. وجزاهم الله خيراً وثبتهم.

Sidi 'Umar: The Memoirs of Muhammad Abu Tair About Resistance and His 33 Years in the Israeli Jails

هذا الكتاب

يسجل هذا الكتاب ذكريات مسيرة طويلة لشيخ مجاهد، وشخصية إسلامية وطنية، برزت في سبعينيات القرن الماضي كأحد رموز المقاومة من أبناء حركة فتح. ثم أصبحت أحد أبرز مؤسسي الجماعة الإسلامية وحركة حماس في سجون الاحتلال الإسرائيلي.

في هذا الكتاب، يشرح الشيخ محمد أبو طير تجربة 33 عاماً في سجون الاحتلال، ومواقفه ومواقف الحركة الأسيرة من القضايا الوطنية وهموم الأمة المختلفة. ويسجل جزءاً مهماً من تاريخ الأسرى في سجون الاحتلال، وخصوصاً أسرى حماس، وما رافق ذلك من معاناة في السجون ومواجهات مع السجناء. كما يتعرض لعلاقات أسرى حماس بالأسرى من باقي الفصائل الفلسطينية، وما رافق ذلك من حالات تعاون أو شدّ واحتكاك.

وتبرز في هذه الذكريات جوانب من تجارب العمل العسكري المقاوم الذي خاضه أبو طير من خلال فتح، ثم على مدى زمني أوسع من خلال حماس. بالإضافة إلى تجربته في العمل السياسي، وانتخابات المجلس التشريعي للسلطة الفلسطينية.

ويسر مركز الزيتونة طباعة هذا الكتاب الذي يخط شهادة وحكاية الشيخ أبي طير، شيخ بيت المقدس، الذي عُرف بين إخوانه بـ"سيدي عمر"؛ ليكون أحد أهم ما صدر من كتب في تجربة الأسرى والمعتقلين في سجون الاحتلال الإسرائيلي.

ISBN 978-9953-500-62-1



9 789953 500621



مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات

Al-Zaytouna Centre for Studies & Consultations

ص.ب. 14-5034 بيروت - لبنان

تلفون: +961 1 803 644 | فاكس: +961 1 803 643

info@alzaytouna.net | www.alzaytouna.net

